نهاية عربية لفصل...!

الجنيدي خليفة

مدونة لسان العرب
http://lisaanularab.blogspot.com

نحو عربية أفضل !!

الجنيدي خليفة

نحو عربية أفضل !!

تجديد

ثورة على اللغة القائمة
وبناء لعربية جديدة

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

جميع الحقوق محفوظة

أنا البحر ...

« ثورة على العربية القائمة ، وبناء لعربية جديدة »

تقرأ فيه :

طاقة العربية التي لم يستغلها العرب — لو كان داروين لغوياً — لغـة المستقبل — مع حكيم الصين — قواعد خمس — باقة من العيوب — تحت رحمة الذباب — الاساس الفلسفي النفسي للخط العربي — وصفـة والفرج على الله — السكر حلال !؟ — شربـة المسهل تكفي — امير البخلاء يتبرع — الاعراب هذا الخراب — كان يظن الله واحـداً ... الخ ، من القضايا المتعلقة بالعربية في كتابتها وقواعدها واشتقاقاتها ومعجمياتهـا ... مبسوطة باسلوب مشوق جذاب :

الجنيدي خليفه

تصدير

لئن كان عالمنا العربي لا يزال على العموم يعاني من ترسبات الاستعمار وتركات عهود الضعف والفساد التي تحول دون انطلاقه في سبيل التحرر والنهوض الى المستوى الذي يليق بمجده وامكانياته — فان اي انسان مع ذلك ليمكنه ان يلاحظ بروز بعض السمات القوية التي تبشر بأن الشعب العربي قد أبى هذه الوضعية فهو يرفضها ويقاومها ، ويقدم البراهين تلو البراهين على انه ليس فحسب جديراً بالنهوض والبقاء في المستوى الذي يقتضيه صراع الحياة ، بل ومصمم على نيله وواثق من بلوغه .

واذا كان عدم تحقيق التحرر الكامل والنهوض المنشود حتى الآن عائداً الى تلك الترسبات والتركات ، فان اية ضربة اذن توجّه الى هذه الوضعية الكريهة ، لتعد في نفس الوقت ضربة ايضاً ، ولكن بناءة ، ضربة في سبيل النهضة والانطلاق .

ومن هذه الضربات المزدوجة ، القاسمة والبناءة ، ضربتان عظيمتان شحنتهما طاقة المروبة الجبارة على كمبون ، فهما محصلتا مئات ملايين السواعد العربية ، والقلوب العربية ، والافكار العربية .. في كل مكان وزمان ..

فاما اولى الضربتين .. فقد جاءت لتؤكد دوام الوجود العربي واستمراره ، وأنه لا يمكن ان ينقطع او تنطفىء جذوتـه ، كائنة ما كانت عوامل الاخمـاد والتمزيق من قوة وشراسـة ، وكائناً ما كان تاريخ هذه العوامل من طول وامتداد .

واما ثانية الضربتين ، فقد جاءت لتثبت صيانة هذا الوجود العربي الذي أخرج من « القوة » الى « الفعل » ، ومن الجدارة بالدوام الى وجوب الدوام . وان امة حققت مثل هاتين السمتين حتى الآن لمحققة في المستقبل القريب بحولها واذن الله سمـة أخرى هي ثمرة كل السمات ومبرر كل نضـال من اجل تحقيق الوجود والحفـاظ عليـه .

ولا شـك ان هذه السمة المنشودة لهي تحقيق الصـدارة بعـد تحقيق الجدارة ، الصدارة في قيادة الانسانية نحو السلام الشامل والهناء الدائم والخير العميم .

واذا كان الطموح الى هذه الغاية الكبرى يقتضي مجهودات ضخمة ومساعي متواصلة متشعبة ومتدخلة ، فلا شك ان مـا يرجـع منهـا الى الناحية الثقافية يعد بحق من ادعاها الى مزيد الاهتمام والعناية ؛ فلا بـد من نشر التعليم نشراً شاملاً ، ولا بد من تجنيـد جيش عرمرم من العلماء والبحاث والفنيين ، واتاحة جميع الوسائل التي تكفل لهم الابتكار والاختراع ، من اجهزة معلمية وحرية فكرية وتنظيم للتبادل والاتصال بزملائهم في مختلف انحاء العالم ، وتطمينهم على معيشة راضية ، ومنحهم التقدير اللازم والمشجع .

على ان مثل هذه التحقيقات وان كان يقع على كاهل الحكومـات فان تخطيطها واقتراحهـا والمطالبة من بعد تطبيقها انمـا هي تحت

مسؤولية الافراد التي تعنيهم مباشرة ، من مفكرين وعلمـــاء وفنيين ، كما انه من مسؤولية هؤلاء كذلك ان ينظروا في الوســـائل والطرق التي تساعد على تحقيق ذلك او تســاهم في الخطوات المؤدية اليه .

ولا شك انه في طليعة هذه الوسائل تواجهنا قضية اللغة بوصفها « الاداة » الاولى التي يتم بها الترابط الاجتماعي والتعبير العلمي والثقافي ، فلا بد للباحث ان يعنى اذن بما لهذه الصفة من معطيات ومتعلقات تتمثل بالدرجة الاولى في مدى ما للغة المعْنيّة من طواعيــة في الاداء وسعة في الانتشار .

وفي هذه الرسالة محــاولة للكشف عن العيوب التي تثقل اللغــة العربية وتقف لهــا حجر عثرة دون المرونة والانتشــار ؛ فرسمت اهم الوصفات سواء ما يرجع منها الى الخط والكتابة والاملاء ، او ما يرجع الى قواعـــد النحو والصرف والاصطلاح والاشتقاق والمفردات ... ، كما حاولت اعطاء فكرة عن الحــالة الحقيقيــة لمدى انتشار الفصحى وحيويتها .

والواقع ان العربية قد تعرضت لكثير من الهجمات المختلفة ، بعضها ولا شك يضمن نزعات تهديمية ، وعواطف منحرفة ، وبعضها جاء نتيجة لقصور الالمام بها ، ولكن فيها ايضاً ما يعود الى النيــة الطيبة والملاحظة الحقيقيــة ، غير ان اغلب هذه الاتجاهــات تشترك في صفة واحدة ، هي ابــداء العيب ثم لا شيء ، ولا شيء يذكر من رسم خطة الاصلاح واقتراح العلاج اللازم .

ومن اجل هذا حاولت ايضاً ان اقترح لكل عيب حـــلاً يحسمه من اساسه ويتماشى مع ابسط الامكانيات ؛ فبينت كيف يمكن

ارجاع حروف الطباعة العربية الى اقل من خمسين حرفاً ، وكيف يمكن الاستغنـاء عن جميع قواعد النحو بقاعدة واحدة .. الى غير ذلك مما هو مبسوط بالتفصيل .

ولما كان موضوع كهذا يعتبر من الموضوعـات « الجافة » فقـد تحررت احياناً كثيرة من الاساليب « المألوفة » ، « فطبخته » طبخـاً خاصاً مراعي فيه تسهيل الهضم .. مع الاحتفاظ بـ « القيمـة الغذائية » ...

اما ما حرصت عليه بالدرجة الاولى فهو ان تظل جميـع الاقتراحات التي قدمتها مستوحاة من العربيـة الفصحى نفسهـا ، في قواعدهـا واساليبها وروحها وجميـع خصائصها .

واننا لنرجو – ان تم ذلك – ان نكون قد ساهمنا بوضع اهم الخطوط لمشروع يجعل العربية من افضل اللغات الحية في سهولتها ودقتها وطواعيتها لمختلف التعابير ، ان لم يجعلها افضلها على الاطلاق .

الجنيدي خليفة

لمحة وبيان ...

الحديث عن جوانب القـوة والضعف التي تتسم بها اللغة العربية وتتصم ليس بالجديد ، بل ان قدمه لأوغل مما يتبادر عادة الى الذهن ، فعندما كان جدودنا الاوائل يقطعون ببضاعتهم الصحراء طالبين لها في اسواق اجوارهم العجم تجارة رابحة ، كانوا على ما أظن يخبرون وتيرة كلما قلل من نجاح صفقتهم رطانة القوم .

ولعل بعضهم قد كظمها في نفسه وتعلم الرطانة قبل ان يعود ثانية الى ذويها ، وها هو هذه المرة وقد لاقى زبونه القديم ينيخ جانبـاً بعيره ، ولكن لا ليشرع معه في الصفقة وانما لاسماعه « محاضرة » في فضـل لغة العرب على غيرها ، فلا ينتبه الا وقـد أبـق البعير . . .

وقد يـكون لصاحبنا في الانتصار على مناظره عزاء عما فقده ... ولكن المظنون ان هذا الفارسي العريق الحضارة المعتز بقومه لم

يكن ليقف معقود اللسان . امام مفاخر جدنا القديم ، وانما كان قد اسمعه هو الآخر قضل لغته ايضاً وعيوب لغات « الآخرين » .

وهكذا فلو كان هناك شخص محايد بين المتناظرين لسمع فيما سمع قائمة بعيوب العربية وخصالها .

ونطوي هذه الفترة كما كان يطوي صحراءه تاجرنا القديم ، او كما كان « يطوي البيد » « سائق الاظعان » الذي تحدث عنه ابن الفارض ، ولكن لا لنعرج على « كثبان طي » ، وانما لنعرج على فترة اخرى من تاريخ العرب هي تلك التي خرجوا فيها من الخمول الى النباهة حاملين لواء الحضارة والفكر والسلطان جميعاً .

وهنا يكتسب الحديث عن اللغة التي هي الاداة المشتركة بين جميع هذه الشمائل اهمية زائدة فلا تعود مسألة خصالها وعيوبها عائدة فقط الى استثارة شخصية كما تصورت من قبل ، بل تصبح ملاحظة ذلك أمراً جدّيا تمليه طبيعة الحياة الجديدة من ترجمة وتأليف ، ومن ادارة وتثقيف .

ويبدو لاول وهله عجيباً ألا يعثر المستقرئي رغم ذلك على ظواهر من الشكوى ضد العربية ، فلا تذكر مترجم ولا مؤلف ولا « اداري » على حداثة العهد بهذه الالوان من الفكر والحياة ؛ وما نجده في كتب التاريخ الادبي من الحديث عن العربية هو غالباً مقصوراً على اطرائها والتنويه بها ؛ وهذا رجل يجيد الى جانب العربية الفارسية والهندية ، على الاقل — والأولى لغته الاصلية — كان يقول : لأن اهجي بالعربية أحب اليّ من ان امدح بالفارسية ، وذلك لانه رأى ان العربية افضل من الفارسية بطواعيتها للتأليف العلمي وبقصور هذه دونه ...

وشهادة هذا الرجل تكتسب قيمة خاصة لا لكونه غير عربي الجنس

وحسب ، بل ولكونه من اعظم اقطاب الفكر الانساني الذين تفتخر بآثارهم ثقافتنا القومية ، وذلك هو ابو الريحان البيروني !

أفلا تثلج ظاهرة كهذه صدورنا بالدهشة ، الدهشة المقرونة بالفخر والارتياح ؟ بل أو لا تحملنا على الاعتقاد بان ما قد يوجه الى لغتنامن نقد ان مصدره الا الجهل بها ؛ وان مصدره الا خبث الطوية ضدها ؟ ؟

ولكننا مع ذلك كله نصر – ولسنا اقل افتخاراً – بان العربيـة قد اثارت ولا شك مصاعب ازاء العلماء والمترجمين ... ؛ ولعل الدهشة تزول اذا التفت الذهن الى ان هؤلاء المعنيين كانوا يجمعون الى ثقـافـة المضمون ثقافة اللغة نفسها ، فما ان تبدو ازاءهم المشكلة حتى يسارعوا الى حلها والتغلب عليها ، وذلك فيما اعتقد هو سبب اختفاء الشكاوى وظهور الاشادة والاطراء .

فاما في تاريخنا الحديث فقـد أثير الموضـوع اعني جوانب القـوة والضعف التي تتصف بها العربية على صعيد واسع ، فمنذ عشرات السنين عرف شرقنا العربي من يروج لعيوبهـا كما عرف من يروج لخصالهـا ، واتخذ ذلك مظهر التحزب والتشيع لهؤلاء واولئك : زعم قوم ان العربية الفصيحة قد مسها النصب وناءت بغبار السنين فأصبحت عاجـزة عن اداء مهمات الفكر والحياة ، وان « سن ياسها » قد حلت بعد فلا فائدة في استنجابها من جديد ، فالرأي ان تحنط في رفوف المكتبـات وخزائن المساجد مستبدلة بالدارجة وبخط اجنبي .

اما الحزب الثاني فقد ادعى العكس تماماً زاعماً ان العربية وبحالتها حتى القديمة لا تتصف بغير الكمال ، وانما هي نزعات الاستعمار وتخرص المتقولـين ... ويرون من الادلة على مذهبهم ان الله قـد اصـطفاها لكتابه ، وانها وسعت ثقافة كاليونانية وفروعاً من الفكر عدة ..

ويرد خصومهم بأن شئون الحياة قد تبدلت والثقافة القديمة ورجالها ذهبوا الى غير رجعة وان الله الذي كان قد تفضل بانزال كتابه بالعربية لن يعمل ذلك مرة اخرى . . ؛ فما كان في القديم محتاجاً اليه اصبح اليوم مستغنى عنه ، واللغة التي كانت تنهض بعلوم يسيرة وغير قويمة غالباً اصبحت قاصرة اليوم دون المعرفة العصرية وما فيها من دقة وتشعب ؛ ليس هذا فقط بل ان العربية التي كانت لغة الحديث والكتابة اصبحت اليوم مقصورة على التأليف وبعض الظروف والمناسبات .

ونجد ظاهرة لهذا التحزب والتجادل في قصيدة مشهورة « لحافظ ابراهيم » اجراها على لسان العربية الفصحى ، واعني بها تلك التي يقول في مطلعها : —

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ونا ديت قومي فاحتسبت حياتي

والتي يقول اثناءها : —

انا البحر في احشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

... كما لا أشك في ان جل القراء يعرف القصيدة . فاستناداً على هذا من جهة ، واستناداً الى ايماني بان في العربية طاقة عظيمة لم نحسن حتى الآن استغلالها ، من الجهة الاخرى ، اتخذت من المقطع عنواناً ومن معناه شعاراً لهذه الرسالة ؛ ولكن دون ان اكون بذلك قد اخذت على عاتقي تأييد الشاعر في عموم قصيدته ، ودون — ايضاً — ان اعرض من نفسي غواصا ، لا ، ولا صائد اسماك ...

لو كان داروين لغوياً ...

وقد يستدعي حل مسألة ما حلاً وافياً ، ليس فقط المعرفة

بالاحوال الراهنة لموضوعها وظروفها القريبة ، بل وايضاً الالمام بالاحوال الماضية والظروف البعيدة .. ؛ وتزداد الحاجة لهـذا الشمول في المعرفـة بقدر ما يقترب ميدان الظاهرة المعنية في سلم الـكائنات من دركاتهـا الدنيا الى درجاتها العليا ؛ حتى اذا ما انتهى بالمفكر المطاف الى ميدان الانسان نفسه اصبح ذلك شرطاً لا بد منه واساساً لا تستقيم بدونـه نتائج حميدة .

واذ ان اللغة ظاهرة لا أوشج منهـا بحياة الانسان ، ان لم نقـل خاصيته المميزة ، فان حصول المعرفة بنشأتها والاطوار المختلفة التي مرت بها ، فضلا عن حصول المعرفة بوضعيتها الراهنة واتجاهاتها في المستقبل — أمر لا بد منه لمن رام لهذه الوضعية تعديلاً جذرياً ، او لمن رام لها اقراراً وابقاء ، سواء بسواء ...

ومن عوامل الغبطة ان رصيداً ضـخماً من الدراسات اللغوية قـد اضيف الى المكتبة البشرية ، وان جهود ميادين عـدة من علم النفس والاجتماع والانتروبولوجيا ... قد تضافرت فأجابت عن كثير من الاسئلة التي كانت في حكم الالغاز .

ولكن من المبالغة الاعتقاد بأن هذه المعلومات — على وفرتها — قد اجابت على كل الاسئلة وكشفت جميع جوانب الموضوع ، بل الصحيح ان « عرمة » من نقط الاستفهام لا تزال بدون اجوبة وان كثيراً من الاجوبة المقدمة لا تستند الى غير التخمين والفروض ؛ فنحن ما زلنـا نجهل مثلاً كيف ولدت عند الانسان اللغة ، وكيف بالضبط انتقل هذا الانسان من حالات الاحساس والشعور ، الى حالات التفاهم والتعبير ، وما هو معروف من ذلك لا يعدو كما قلت افتراضـات قابـلة للطعن والتجريح .

فهذه الصعوبة لا بد ان تطرح من تلك السهولة المتوفرة ، فلا يغفلن باحث حساب الحلقـــات المفقودة كلمـــا تصـــدى لموضوع لغوي يتنـــاول الاصول .

غير اننا سوف لن نترك محاولة التوغل في البحث متعللين بفقدان بعض عناصره ، مكتفين بترديد ذلك قاعدين ، بل سنحاول ، والمحاولة دائماً افضل من القعود .. ، وذلك في انتظار قيام « قردانيين » جدد ينهضون بدراسة مقارنة بين لغتنا و « لغة » القرود ، كما قام اساتذتهم من قبل بالمقارنة بين « احجم الدماغ واشكال الوجه » منتهين الى ان جد الجميع واحد ... ؛ فان حصل ذلك فلا نستبعد ان نعرف المزيـــد من مجاهيـــل اللغة ، ولا سيما ان الاحساس — مثلاً — الذي يحسه في مؤخرته الهابط بأرجوحة ليس هو على رأيهم سوى ذكرى لذيل كان في سابق التاريخ !.

لغة المستقبل :

ولتذهب الآن القرود وليذهب اصحابها الى الجحيم لنعود فنستثمر من ملاحظة قديمة حول الانسان ، اعني اتصافه « بالاجتماعية الطبيعيـــة » . وهذه الحقيقة لم تتجلّ في وقت من الاوقات تجليها في عصرنا الحاضر ، بسبب من التقارب الحادث بين بني الانسان في اساليب العيش والحيـــاة وفي اساليب التفكير والتعبير ؛ فليس من المستبعد والحـــالة هذه ان تلجأ بالتالي لغة واحدة تتخذ اداة علمية للتفاهم والتعبير ، فتصبح اللغات الحالية ، ان لم تكن احداها هي السائدة ، مجرد لهجات محلية يقتصر في التعامل بها على اضيق المنـــاطق .. قبل ان يعتريهـــا هي الاخرى الزوال .

والواقع ان بعض العلمـــاء قد شرع بعد فعلا في تكوين هذه اللغـــة

العالمية ، فبدأوا ينتقون لها الالفاظ ويستحدثونها ، كما اخذوا يقعدون لها القواعد ويبنون الاساليب .. ؛ بيد انه ليس من السهل ان تحظى هذه اللغة بين عشية وضحاها بمثل العاطفة التي تحظى بها لغاتنا الراهنة ، كما انه ليس من السهل ان تتنازل الامم سريعاً عن هذه اللغات التي ترتبط لا بالتراث والقومية فحسب ، بل وايضاً بمشاعر الافراد الذاتية وحياتهم الخاصة . غير ان قيام لغة عالمية يظل مجرد مسألة وقت يبعد كثيراً او قليلا نسبياً ، واللغة الاضعف ستكون اول من تلاقي حتفها واقل اللغات تعميراً في المستقبل .

هذا وربما دعت الحاجة غداً الى البحث عن وسيلة اخرى للتفاهم غير اللغة ، وقد ثبت علمياً ان للدماغ البشري شحنات « كهرطيسية » ، اي موجات لا يختلف جوهرها عن موجات الراديو ؛ فلعل الله الحكيم القدير سوف لن يختتم انفاسي شخصياً . — الا وقد نشأ على رأسي سلك مثل « الأنتين » .

والحاجة المشار اليها قد تكون حاجة التقدم العلمي الى التطبيق وقد تعود الى قيام علاقات بيننا وبين كائنات عليا نفترض ان صح وجودها انها ارقى من ان تقبل التفاهم معنا بواسطة لغة قد تكون بالنسبة اليها بدائية ...

واذا كان منطق الشك والاحتراز العلمي ومظنة الدعاوي السياسية ، تعصمنا ان نؤمن بحكايات الاطباق الطائرة واقزامها الغريبين ، فان تلك المبادىء عينها لتعصمنا ايضاً من الذهاب الى نفي الحياة اصلا ، والحياة العاقلة ، في غير كوكبنا هذا .. وذلك دون ان نضطر الى الاستدلال بنظريات تستدعي بدورها الاستدلال على اصولها الاولية .. ؛ بل مالي اذهب بعيداً وبقربي شهادات اقرب الى العلم وادعى الى الوثوق ، ففي الربيع الماضي اعلنت وكالات الانباء ان طائفة من اهل الرصد الجوي

قد استطـاعوا ان يلتقطوا نشاطاً لاسلكياً ينبعث من كائنات من غير كوكبنا .. وتكونت للعناية بذلك لجنة خاصة .

واعلنت اذاعة تشيكوسلوفاكيا في اواخر الشتاء الماضي عن تصريح لعـــالم روسي . اعتذر بنسياني ذكر اسمـه — انه قد كان يحل بكوكبنا هذا كائنات من غيره بعد ان وقع حادث لمركبهم الفضائي ، ويزعم فيما يزعم ان آثاراً من ذلك قوامهـا مواد مشعة غريبـة لا تزال توجد بيننا .

على ان المستقبـل سيكشف ما اذا كان المعتقدون بمثـل هـذا مجرد ضحايا اولا — اما انا شخصياً فاني اكتفي الآن بما هو ثابت ثبوتاً ، وهو احتمال الحياة غير الارضية . والوقوف عند هذا لا يعني اتقـــاء تعليقات اهل الثقافة الرسمية « السكولاريين » واشباههم من المتزمتين ، وانما يعني الانتظار لما قد ينضاف من الكشف والتدقيق .

ومهما تكن صورة الواقع الحقيقي فان مجرد ذلك الاحتمال وحـــده لكفيل بأن يوجه العلماء والمفكرين الى الاهـتمام بموضوع اداة التفاهم فيما يهتمون ، وذلك بأسلوب جديد تنشأ عنه نتائج جديدة .

وفي اعتقادي انه لن تمر فـترة طويـلة في عُمُر الزمن حتى يتضافر التقدم العلمي من جهة ، والاهتمام بذاك الاحتمال ، من جهـة اخرى ، فيوفق المستقبل الى الاستغناء عن لغة الكلام في كثير من الشئون .

وعلى الذين يرون في الاعتقاد بذلك ضرباً من التخريف ان يتفضلوا بالقاء نظرة على تاريخ الاكتشافات الـــكبرى فيقارنوا بـين الظواهر البسيطة التي استندت عليها اول الامر وبين مسألة علاقته بموضوعنا هذا كظاهرة الموجات الكهرطيسية المشار اليها آنفاً وكحوادث « التلباثي »

أو سادسة الحواس .. ، هذه الظواهر الـتي لا يستطيع انكارها العالم المتزمت ولا الامي الجاهل ، وان استطاع انكارها اولئك المدرسيون ..

مع حكيم الصين

وسواء أكان الى الزوال مصير اللغات أم كان الى قيام واحدة مقام جميعها ، بل وحتى لو بقي ما كان على ما كان ، فـان الاهتمام باللغة من حيث هو تعهد وعناية يظل على كل حال قـائم الدواعي مطلوب التحصيل ؛ وذلك للقيمة الخطيرة التي تتصف بها اللغة ولفعاليتها القوية في تربية عقول ابنائها وطبع سلوكهم ايضاً ؛ فهي من حيث وظيفتهـا أهم أداة لتحقيق الترابط الاجتماعي بين الافراد ، وأدق « القوالب » لصياغة المشاعر والافكار ... وذلك طبعاً قبل ان تنتزع منها هـذه الميزة لغة الارصاد ...

وتزداد دواعي الاهتمام المشار اليها تأكدا كلما زادت عوامل التشكي من لغة ما لدى ابنائها وذويها ، ان صدقا وان كذبا سيان ؛ والى الباحث بعد ذلك المتسلح بالمعرفـة والاخلاص تناط مهمة النقـد والتمييز ، من جهة ، ومهمة وصف الدواء في الباقي ..

ومنذ ألوف السنين لاحظ « كونفيشيوس » وهو الحكيم البصير ما تفرضه اللغة من الاهتمام بها فقال كلمته المأثورة :

« لو أتيح لي الحكم لبدأت باصلاح اللغة »

وواضح ان اللغة الصينية التي يعنيها الفيلسوف قد اشتهرت بالصعوبة والتعقد والالتواء ، فلا تذمر ابنائها بالمفتعل ولا ما يصدق عليها يصدق حتماعلى غيرها.. كما قد يقال :

هذا صحيح ، وصحيح ايضاً انه يجب الا نهمل العناية بلغة من اللغات الا اذا كانت مشابهة للصينية ، والا اذا كان المنادي بذلك هو كونفيشيوس الحكيم .

بلى يكفي ان يوجب ذلك ان تكون اي اللغـة المعنية ، قليلة التجاوب مع الحياة ، قليلة الانتشار لدى ابنائها ، كثيرة القواعد والتكاليف ، كما يكفي ان يوجب ذلك الا يكون المنادي به سوى من امثالي ، البسطاء ، المحكومين ..

فبهذه الاعتبارات جميعاً سأشرع الآن في محاولة تشخيص بعض عيوب لغتنا مقترحاً العلاج ، على اساس عين الطاقة الكامنة فيها ، كما حاولت آنفـاً وضع الاطار العام واثارة بعض الظروف المحيطة بموضوع من هذا القبيل ..

(البدبهة الاولية)

لشرقنا العربي

وتستوي لدي في هذه المحاولةان تكونالعيوب مما تنفرد به العربية أو أنتكون مما تشاركها فيه حتى أرقى اللغات الحية ، اذ ما دام العيب قائماً فانه لا يرفعه ان يصدق على اكثر من موضوع .. ولهذا فلا بد من محاولة علاجه كيفما كان .

وعلى رغم ما لهـذه الملاحظة من بداهة ، فقد بدا كثير من اخواننا ها هنـا بتونس[1] او بالمشرق في حكم المنكر إياها، الغافل عن مقتضاها فما ان يعثروا على نزعـة تحاول تخليص العربية حتى من عيوب « مشتركة » الا واحتجوا وما لهم من حجة — بان ذلك لا تخلو منه الفرنسيـة نفسها ولا الانجليزية .. وهي أرقى اللغات الحية ..

والواقع ان مثل هذا الرأي - والحال ان اعتراف ضمني بثبوت العيب - لا

---

(١) كتبت مسودة هذا البحث بتونس وكان المفروض ان تنشر بمجلة الفكر في عدد مضى ثم تبين له اطول من ان تستوعبه .

يمكن ان يؤدي الى ظروف تخفيف وانما بالعكس الى ظروف تشديد — ان جاز التعبير — فان تكون للغـة الانجليزية وهي الحية نقائص تشابه ما بالعربيـة فذاك يعني ان لها ؛ في الجانب الآخر ، من المزايا ما يفوق نقائصها وما يربو عن مزايا لغتنا الراهنة ايضاً .

ويقولون معترضين : انّ ذلك لا يعود الى المزايا اللغوية بقدر ما يعود الى عوامل اخرى سياسية واجتماعية . هذا صحيح ، وصحيح ايضاً ، عند من يمعن النظر قليلاً ان ذلك يظل ايضاً لا حجة للعربية بل حجة عليها وداعيـاً اضافياً الى ضرورة تعديلها وادخال الاصلاح الجدي عليها ، ولا يضير لغتنـا ان تقطع شوطاً مما قطعته لغات غيرها في انتظار اكتمال العوامل الاخرى الاجتماعيـة والسياسية ، فهو أمر يتحتم عليها الآن ويعود عليها بالخير غداً ، وذلك تعويضاً حسب الامكان وترجيحاً للتفوق والامتياز .. عندما تستوي العوامل الخارجية للغتهم ولغتنا وقد فضلتها هذه بسابق التعديل ..

كل هذا كان جديراً الا يغيب عن « المدافعين » بيد أنهـا مصيبة شرقنا في جميع الميـادين ، هـذه المصيبة المتمثلة في انكار بدائه المسلمات وقبول بدائه المنكرات ؛ وذلك لعمري شر ما في منطقٍ على الاطلاق !!

قواعد الخمس ؟

واذ ان اخاك هذا ، ان بظروفه الراهنة ، وان بامكانه ، لاعجز الآن من ان يستوعب في كلمته هذه جميع عناصر الموضوع ومواده ، فقد رأيت تخفيف النقص باثبات بعض المبادىء التي اصدر عنها ، والتي ادعو ان يصدر عن روحها كل من اراد للعربية تعديلا يريد به الخير لها والفلاح .

١ – وأول هذه المبادىء او القواعد ان هو الا ما تضمنته الفقرة السابقة من

ضرورة تعديل العيب كلما حصل ، بصرف النظر عن كونه خاصاً بالعربية او لا .

٢ – ومن نفس المبدأ نستخرج ضرورة تحصيل الخصلة المفيدة ونفع العربية بها وان امتازت بها حتى الآن لغة غيرها ؛ وذلك كما لا احتاج ان اعيد على اساس متسع من الطاقات الجلية والخفية للعربية نفسها .

٣ – اما منهج هذا التعديل فيما يتعلق بالعيوب فيجب ان يكون اقتداء حازماً وجدياً بما يمكن ان ندعوه « القانون الاقتصادي العام » ؛ فعيب هو يتطلب التعديل كل « اسراف » في تكاليف العربية ، سواء أتمثل هذا الاسراف في طول المدة اللازمة لتعلمها ، أم تمثل في ارتفاع ثمن وجهد المطبوع بها ..

٤ – وخصلة هي كل ما من شأن تحصيله ان يكسب العربية تمشياً وذاك الاقتصاد ، او يكسبها صيغ ضبط وتدقيق ..

٥ – وربما تسلسل ايضاً مما سبق ان نعطي اولوية الاستعمال لكل تعبير مشترك يوجد من وجه في لهجة ما من لهجات العربية وان انطمس له كل وجه في لهجات « قريش » او « عكاظ » .

هذا وليس المهم ان امضي في تعداد القواعد والمبادىء التي تراءت لي اثناء التفكير في الموضوع ، بل المهم ان نقوم بتطبيقها وضمان نجاحها ، وان تكون غاية كل ذلك هي نشر الثقافة العربية بعد خلقها ، ونشرها في اقطارنا اولاً وبالذات ، ثم اتاحة انتشارها في كل البلاد .

فاما مسألة هذا الخلق للثقافة فلا يمكن ان يعد اصلاح العربية المنشود غير

وسيلة او شرط من شروطه ووسائله ، واما ضمان الانتفاع بالعربيـة المنشودة فمن الخير ان يحصل على يد جميع حكوماتها ، وذلك بتكليف لجان علميـة – ادبية – لغوية ، بالدرس والتمحيص فترفض مقترحات هناوتقبل اخرى هناك . حتى تكتمل « الاجرومية » الجديدة وفن القول الحديث ؛ أقول من الخير ان يحصل تطبيق ذلك بالاشتراك ، والا فلا لوم على حكومة ما من الحكومات العربية ان تمتح بمفردها الباب[1] .. بل لا لوم ان يكون البادىء بذلك كاتب ما ، مجرد كاتب ووحيد ..

فاما وفرة الخير ونضوبه فتفهم على قانون الاقتصاد اقتداء ومخالفـة ، هنا ايضاً ، كما بيّناه هناك .. وان كان عدنا لخمس من القواعد ليـذكرنا باركان الاسلام ، يجامع الرقم بين كل .. ولعله ايضاً يحملنا على التفاؤل والامل فيصبح النضوب زخراً ويتحقق الخير ، الخير العميم ، وربك قادر ان يخلق الشيء من العدم فكيف بعشر الخمسين ..!

باقة من العيوب :

وما يتطلب التشخيص والعلاج في لغتنـا العربية متعدد الجوانب والميادين فهنـاك مسائـل الرسم ومسائل المضمون نفسه ، ثم علاقـة الفصـحى بالدارجة ، واخـيراً قضية الثقافة العربية نفسها ، بل وجميـع قضايانا السياسية والاجتماعية والحضارية .

---

(١) لم اكن اقصد بذلك حكومة معينة ، ولكني عندما فرغت من تسويد هذه الرسالة قرات لوكالات الانباء « ان الجمهورية العربية المتحدة » قد اصدرت قراراً باصلاح الخط بجعل اشكال الطباعة تنخفض من ٤٠٠ – ١٦٠ . وستعرف بعد قراءة البحث ان هـذا الاجراء وان كان ثورياً فانه ليس بالشامل وما بقي في حاجة للاصلاح اكثر من ذلك بكثير ، كما انه يتطلب حلولا اكثر عمقاً وجذرية .

وبالقسم الاول خصصت هـذا الفصل ، وقد تناولت فيـه الخط والاملاء تشخيصاً وعلاجا ، كما حاولت جهدي ان يكون ذلك وافيـاً مركزاً شاملاً وقد برمنا بـ « الدراسات » المتسرعة وعبارات « ضيق المقام » وهذا الموضوع اكثر من ان يستوعب في مقال » وهلم كذباً . (١)

فاما قضية الثقافـة العربية نفسها وكذلك بقية القضايا السياسية والاجتماعية والحضارية فهي تستدعي بحوثا مستقلة يقوم بها اكثر من واحد ، بل لعلها ان تقتضي تكريس حياة زمرة من الباحثين .

وأما بقية الاقسام التي أُلمعتُ اليها وهي قضايا المضمون اللغوي وعلاقة الفصحى بالدارجة فهي مبذولة في باقي الفصول من هذه الرسالة .

نعمت رحمة الذباب

كانت حلقة الاملاء عامرة ، وقد طلع النهار بالبركة على التلاميذ فحفظوا الواحهم ومحوا ، وهـا هم الآن يحفون بمؤدبهم طالبين من كتاب الله المزيد ، استملى احدهم بآية ، فاستجيب بما بعدها من قوله تعالى : « ترجي من تشاء منهن .. » ؛ ويكتب التلميـذ الآية ولكنه يغفل عن بعض رسمها ، عن نقط الجيم ، انساه الشيطان ذلك ام كان مدفوعا بنية السطو على دور احد زملائه .. ، استملى : «سيدي» « ترجـي من تشـاء منهن ... » ، ولكن المؤدب مشغول بغيره عنه فلا يلتفت اهتمامه . وتأتي في هـذه الاثنـاء ذبابة .. لعلها ان تـكون خليفة للشيطان ، او لعلها كانت تريد انجاد صاحبنا . وعلى كل فقد نقطت الحرف المهمل ، ولكن من فوق لا من اسفل .

(١) هذا باعتبار ان اصل الكلمة مقال ، واما وقد اصبحت كتابا واخشى ان اكون قد نهيت عن خلق وآتيت مثله ..

ويجيء الدور المنتظر فيستملي المسكين : « سيدي : ترخي من تشاء منهن » . ولا شك ان المؤدب قد استجاب اليه الآن لا بآية كريمة ولكن بفلقة لا سلط عليك كرمها .

وما للطالب من ذنب ولا للمؤدب . . ان راعينا احوال امثالهما .. ولكن الذنب انما هو في امر هذا النقط والاعجام الذي اريد منه ان يكون صيانة ضد التصحيف والتحريف فكان بالعكس مدعاة لهما .

والشواهد على مثل هذا من الكتاتيب وغيرها لا تحصى ، ولكننا ننزه كلام الله عن ذكر شرها ، وان لم نر مانعاً دون الاستشهاد السابق لعدم تعرض معنى الآية للتحريف ، وان تعرض له رسمها ؛ ويعذرنا كل من يعرف اسباب نزول الآية الكريمة [1] وقارن بين الرحي بمعناه المجازي ، وبين الارخاء بمعناه التونسي ، من جهة ، وبينهما وبين الارجاء من الجهة الاخرى .

والعيب في امر النقط هذا مرده الى ان اكثر احرف الهجاء العربي متشابهة الشكل فئات فئات ، فمجموعة الحاء تحتوي على اشكال ثلاثة لولا النقط لكانت واحدة ، وكذا قل في الباقي بعد استثناء (ا . و . هـ . م . ل) ؛ فكأنه فيما يخص الاكثرية ليست لنا حروف كاملة وانما اجزاء تركب وتلفق ، فتبيّن المقصد بين احرف الفئة الواحدة بعضها بعضاً يظل تحت رحمة نقطة ، وتحت .. ذبابه .

وهذا مما يفسر عجز الحيل عن تجنب كثرة بعض الاخطاء في المطبعة العربية ، في حين انك لا تكاد تجد لها خطأ واحدا — مماثلا — في

---

(١) لما غار نساء النبيين (صلعم) من عائشة لحظوتها لديه وايثارها بحبه عليهن نزلت الآية لبيان ان النبي « حر » في تصرفاته ازاءهن فيقرب من شاء منهن ويؤجل من شاء ... واما الارخاء فهو عربي فيصيح والمعنى التونسي الدارج يكاد يخصصه لمثل هذا المقام .

الطباعة اللاتينية .

وامر الحروف المعجمة والمهملة هذا يذكرني بما كان ينسبه لها القدماء من علاقة بالقمر وتأثير ذلك على الناس ، فقد ربطوا بين منازله وبين النقط وعدمه زاعمين لاحدهما دلالة نحس وللآخر دلالة سعد ؛ وقد نسيت اي نوعي الحروف المعجمة ام المهملة يدل عندهم على السعد ، ولكنّ الذي اعرفه ان كلا النوعين لم يعد يقترن عند القارىء العربي بغير النحس ...

وأترك مسألة النقط هذه ، لا خوفاً من ان تسبب لي انا الآخر فلقة ما من ذي عقلية مؤدب ما .. ولكن لأنتقل الى وجه آخر من عيوب الحرف ، واعني به صورته عموماً ، هذه الصورة لا يسعني نعتها بسوى الاسلاك الشائكة او الاخطبوط ، ولا سيما عندما تجتمع لتكوين لفظة ، ذيول تحت السطر ، وزعانف فوق السطر ، وتكوير ، وتربيع ، وتدوير ، قديد منشور بسلك .

لا شك ان انتظام الحرف يسبب للقارىء ارتياحاً من تشعب بصره فيزداد إقبالاً على القراءة والفهم كما يزداد توفيراً لطاقته ولوقته ، بل ليس من المبالغة ان نذهب الى ان انتظام الحرف قد يساعد في التربية على انتظام السلوك واستقامة التفكير .. وان بدا هذا للمتعالمين بعيداً .

ومهما يكن فاني شخصياً لم اجد من دافع عن صورة الخط العربي سوى فرد تربطه به حادثة معينة ، وسوى افراد تربطهم ببعضهم حالة .. معينة ايضاً .

واما هؤلاء الافراد فهم تلك اللجنة التي كلفتها « الجامعة العربية » بالنظر في اصلاح الخط ، اذ قررت بعد « جلسات » و « دراسات »

انه لا أنسب من الخطوط الحالية في الزخرفة وتشكيل لافتات النيون التجارية .

واما ذلك الفرد فهو من اتته امرأة برسالة قصد قراءتها عليهـا ، وكان يجهل كل قراءة ، وان لم يجهـل اساليب ادعائهـا ، كما لم تكن تجهل هي ما ارسله اليها زوجها منذ ايام من ادوات . قالت وقد رأته يتلكأ : « أما تحدث عن مذراة ؟ » فأجابها مستبشراً بالنجدة : « حتى انا قلت هذا الطويـل واشي ..! » — « أما اخـبر عن قصعـة ؟ — « حتى انا قلت ها المدور واشي ..! »

والحق كما يقتضي الانصاف ان استدرك — ان هذا الامي المتعـالم لم يكن قد دافع فعلا عن صورة الخط فيما نقلت آدابنا الشعبية ، غير اني احسبه جديراً بفعل ذلك .. ، طبعاً بعد لجنة من ذاك القبيـل .. او من المعنيين بـ « سر الحرف في قراءة الكف : وبـ « أبي معشر الفلكي الكبير .. »

هذا وقد كدت اهمل ذكر عيب في صورة بعض الحروف ، انـه التميّع بين المتشابهات منها وتردد صورها بين البعض والبعض ، وذلك لا بسبب النقط نفسه وانما بسبب ما اشرت اليه تواً من التشابه في الشكل المشترك والتردّد بين مسمى الحرف المختلف . خذ الفاء مع الغين فكثير ما تلبس اليد بينهما ، وقس البواقي ؛ وانما يعرض ذلك اكثر ما يعرض في الكتابة اليدوية ، وفي حالة بعض مواقع الاحرف ولكن لا تنس ان اكثر النصوص العربية انما تكتب اولاً باليد ، وقلّ من يستعمل مباشرة الآلة الكاتبة . ومعنى ذلك ارتفاع في عدد الاخطاء المطبعية على ارتفاع ، ورهنة قبلها هنات .

فاما عيوب تعدد صور الحرف الواحد باختلاف مواقعه من اللفظـة

فنترك لشهرتها البسط ، كما نتركها لمقال الاستاذ المنجي الشملي المنشور بمجلة الفكر التونسية (فيفري ١٩٦٠) ولكني لا احب ان تفوتني منه هذه الملاحظة - الفاجعة حقاً - وهي : « ان الاشكال الطبـاعية اللازمة لطبع نصّ مشكول الحروف تصبح ١١١٠ - هذا ولم نذكر المدة والوصلة والهمزة والسكون ... ؛ والنفقات الجسيمة الـتي يتطلبها مثل هذا العمل تزيد مشكلة ارتفـاع ثمن الكتاب العربي تعقـداً ، ولا تعمل على ترويجه ، ولا على ترويج اللغة العربية .. ص ٢٩ » ، وهذا « في حين ان طباعـة نصّ فرنسي او انجلـيزي مثلا تتم باستعمال ٧٠ شكلا فقط - صفحة ٢٨ » .

اجل وهكذا تجتمع اللجان والمجامع مستنزفة عرق الامـة العربيـة بتنقلاتها ومآدبها وجراياتها .. تجتمع لتبشر هذه الامة بان الصورة الحالية للخط العربي هي انسب ما يناسب اضواء النيون والتشكل الزخرفي !.

الاساس الفلسفي النفسي للخط العربي

لا يسعني ان اساهم باقتراحات لتفادى العيوب المذكورة الا اذا كانت لا تنال من الاساس الجوهري للخط العربي ؛ فما هو هذا الاساس ؟؟

والواقع ان الباحثين قد تناولوا بالدراسة كثيراً مسـألة الخطوط وتفرعها عن بعضهـا بعضاً ، إلا انهم لم يصـلوا - فيما قرأت - الى رأي موحد يمكن الركون اليه . فمنهم من رد جميعها الى اصل واحد ، ومنهم من عدّد اصولها وقسمها الى انواع ، ومنهم من قال بغير هـذا وذاك .

وليست لنا هنا غاية بالحديث عن المنشأ نفسه للخط العربي ، ومن

باب اولي الاجنبي ، وانما يهمنا الدلالة النفسية الفلسفية للصفة العربية في خطنا العربي .

ونقطة الانطلاق في تلك الدلالة تتمثل في « يمينية » الخط العربي ، اي في كونه يبدأ من اليمين الى الشمال ؛ واليمين كجهة جسمية مقترن عند اذهان اغلب الامم برجحان القدرة ومفاضلة القوي ؛ ولعله فسيولوجيا ايضاً كذلك .. ، ولكن الاسلام يجيء فيؤكد الناحية الجسمية بتحويلها الى رمز روحي .. ؛ فاذا اليمين من صفات الله الحسنى ، واذا اليمين القسم والعهد والالتزام الحر الباطني . وعلاقة الجارحة بالرمز علاقة قوية ، من وجهة النظر العربية والاسلامية معاً .

وتتمثل هذه العلاقة فيما حث عليه الاسلام من العمل والجهد الفكري والمادي ومن تحابب وتآخ ، من جهة ، وفيما اقترنت به اليمين الجارحة من كونها الوسيلة الاولى لتحقيق ذلك ، من الجهة الاخرى .

واذا لاحظنا ان مهمة الاسلام الكبرى هي « تأنيس الطبيعة » اي نشر الحضور الانساني على ربوع الكون وطبعه بآثاره ، أمكننا ان نعبر عن امر تلك العلاقة بعبارة اخرى : وهي ان اليمين كجارحة وسيلة تحقيق الجانب المادي للتأنيس ، وانها كمعنى رمز لتحقيق اقنيمه الروحي ؛ فاما ما بقي من اقانيم التأنيس وهو العلم ففيه اعتبارات مادية واخرى معنوية ليس هنا مجال التحدث عنها [1] .

هذا واذا كان الاسلام قد جاء مناهضاً لبعض العادات العربية السابقة

---

(١) نشرت لي مجلة الفكر التونسية في عدد نوفمبر ١٩٥٨ مقالا تحت عنوان « الوجود الاخصب » وهو ملخص لكتاب لم انشره بعد ان تحدثت فيه عن مسألة التأنيس هذا، وفيه جملة من التحليلات المتعلقة باليمين كمسألة المصافحة والتحية وغيرها مما ارى فيه دلالة على تأصل مبادىء الروح التي هي العلم والحب والجهد .

له ؛ فانه بالعكس لم يناهض كثيراً من ظواهر الروح العربية ، ولا سيما تلك التي تعد في حكم الطبيعة الجبلة او تكاد والحال انها مفخرة وفضيلة

والعرب قد اشتهروا من قبل بالشجاعة والكرم والولاء ، وبكونهم رحلاً ، وهي صفات بما فيها الاخيرة ليست الا من الظواهر المختلفة التي تتبدى بها التأنيسية .

فالشجاعة — من وجهة مذهبي البسيط هذا — صورة من صور الجهد المادي المقرون احياناً - اذا استعملت في المحاربة مثلا وصاحبتها مهارة القتال — بالعلمية والجهد في صراع « الطبيعة » ضد « الانسان »[1].

وان يكونوا رحلا فذاك يعني هو الآخر نشدانهم للوجود الأخصب، بصرف النظر عن الظروف القريبة الدافعة ، اذ لا تعارض حتمياً بين طلب المعيشة وبين الانتعاش الانساني الشامل .

فاما الكرم والولاء فجانب الحب من التأنيسية فيهما ظاهر ، ولكن ما قد يحسن ذكره يتمثل في التنبيه على ان هذه الشمائل العربية لم تخل من فجاجة وبدائية ، وهذا ما جاء الاسلام فأدخل عليه تحسيناً وتعديلا ، فأعطى للكرم حداً دون الاسراف والتبذير ، وأعطى للولاء صفة تشريعية ، وللشجاعة ميداناً هو اعلاء الحق والجهاد فيه .. كما حضّر بعد بداوة وأقرّ بعد ترحال ..

هذا واذا تقرر ما لليمين حقيقة ورمزاً من دلالة قوية على تلك الشمائل مادية وروحية ، بعد ما تقرر ان هذه الشمائل قد كانت للعرب قبل الاسلام وعدلها لم ينف كنهها ، أقول اذا ثبت ذلك استنتجنا بكل وضوح وبساطة ان يمينية

---

(١) انما وضعت الكلمتين بين الاقواس للاشارة الى اني احملها معنى اصطلاحياً حيث تشمل الطبيعة المادة والمجهول والانسان المعادي لاخيه الانسان والحيوان وكل ما على الانسان الحق ان ينشر حضوره عليه ..

الخط العربي هي جوهر الدلالة النفسية الفلسفيـة والحضارية للروح العربيـة الاسلامية فيه ، ومن ثم فهي جوهره هو بالذات وأساسه الذي يبنى عليه كل اساس .. ؛ وذلك دون التفات الى الخطوط والشمائل الاجنبية التي قد تشارك العرب فيما بيناه ، لما هو واضح – كما سبق ان استخدمنا هذه البديهية — من ان الصفة ما دامت هي هي فانه لا يغيرها ان تصدق على اكثر من موصوف .

وصفة والفرج على الله

يتضح مما سبق ان الدعوة الى استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني كما انتشرت منذ سنوات ، دعوة مخالفة تماماً ومناقضة لكياننا القومي والحضاري في اعظم وانبل ما يتسم به ، ولا يسعنا والحالة هذه ان نقف منهـا موقف الاعراض وحسب ، بل وموقف الرفض والمحاربة ، وذلك على الرغم من ان التعللات التي تعلل بها الداعون لا تعود الى عيوب حرفنا فقط ، بل والى عيوب الرسم والاملاء ايضا ... ؛ اذ ان الفرق ليس بين كتابة يمينية واخرى شمالية ، بل هو فرق بـين حضارة وحضارة يرمز الى احداها اليمين .

وسنرى ان رفضنا استعارة الخط اللاتيني لا ينجر عنه اي تفويت امكانية اصلاح ، بل وسنرى الا داعي اصلاً لهذه الاستعارة حتى ولو لم يوجد الاساس الذي يدفعها ؛ وذلك ان بالنسبة الى عيوب الحرف ، وان بالنسبة الى ما سأذكره في مكانه من عيوب الاملاء .

والواقع اننا بعد ما بسطنا عيوب الخط لم نعد في كبير حاجة لبسط اقتراحات التعديل ، فلا محيد عن التفكير بتفاديها حسب انواعها وحسب المعيار الذي به عيرناها ، واذن فمن البـداهة ان ذاك يتم بتحقيـق النقط التالية : –

١ - اطّراح الاجزاء الموحدة التي تساهم في تكوين اكثر من حرف ، وعلى رأسها النقط .

٢ – تعديل الحروف المتشابهة صورها بسبب من تماثل بعض اجزائها ، وان عاد التشابه الى غير النقط ؛ ويصار اليه أي التعديل باعطاء الحروف « شخصية » متميزة قويـة المعالم والحـدود ؛ وفيما يخص النقـط تبدل الحروف المعجمة بأخرى مهملة بكون كيانهـا تاماً مستقلا عن بعضها بعضاً .

ويجمع تحقيق هذين البندين السابقين مبدأ اتقاء التصحيف .

٣ – تنظيم الحرف على شـكل هندسي واضح تراعى فيه حدود السطر والائتلاف .

٤ – فاما عيب تعدد صور الحرف الواحد تبعاً لمواقعه في اللفظة فـلا يتطلب علاجه غير توحيد هذه الصورة أنى كان موقعها ؛ هذا ان لم يرتفع عيب التعدد بتحقيق التعديلات الآنفة .

٥ – ويتكامل مع البنود السابقة كما يستنتج منها ان تـكون الحروف المنشودة اقرب ما تكون الى الحروف الحالية المقطعة واقرب مـا تكون الى هيكلها المشترك وسمتهـا العامة بين جميـع انواع الاقلام العربية من خط نسخ وثلث ورقعة وكوفي ... الخ .

والحق ان بعض العاملين قد قدم بعد اقتراحات عملية تتعلق بتحقيق مثل هذه البنود ، ولا سيا اواخرها ، فعرض على اهل الطباعة والفنيين والمهتمين اشكالا جديدة للحرف العربي ، يحقق استعمالها توفير كثير من

صعوبات الطبع [1] الراهنة وتكاليفه ؛ وانا وان كنت اجهل مصيرها بالضبط هذه المحاولات ، فقد بدت آثارها تظهر في بعض العناوين واللافتات ؛ واول الغيث قطر ...

ويضاف الى هذه المحاولات المحمودة الطريقة الجديدة التي ادخلها الاستاذ محمد الاخضر (او الخضر ؟) في ميدان الطباعة العربية — ولست لأسفي — اعرف عنها غير كلمة منشورة في المجلة البيروتية الآداب او العلوم ، وقد نوهت الكلمة بالطريقة — ومن هذا التنويه ولثقتنا بالمجلة استنتجنا الاهمية — ولكنها لم تشرح شرحا اسسها وكيفيتها .. الا ان يكون خلاف ذلك قد نشر في مكان جهله اخوك .

ومن دواعي اسفي اني كنت قد طلبت من شخصية ثقافية بسفارة المغرب بتونس — وصاحب الطريقة أخ لنا مغربي — طلبت منها اطلاعي عما قد يوجد عندها من المعلومات الكتابية المتعلقة بالموضوع ، فكان ان ظنت وجودها ثم كان أن ضنت بالتمكين منها .

هذا والجدير بالذكر ان مثل الاصلاحات المقترحة فضلا عن كونها ضرورية لا تتصف بشذوذ ما بالنسبة الى التغييرات التي مر بها الخط العربي من القديم الى عصرنا الحاضر . ويكفي ان نعرف ان مجموع اقلامه حتى الآن لتناهز الثلاثين ، وان انواعه الثلاثين هذه وان وجدت بينها جوامع فان بينها كذلك فروقا .

واجدر بالذكر ان دواعي الزخرفة وظروف الترف — الفردي او

---

(١) يضاف الى هذه الاقتراحات والحلول الاجراء الذي اتخذته العربية المتحدة بشأن اشكال الكتابة . وهذه المحاولات وان كانت جيدة فانها ليست مثالية اي انها لم تراع كل البنود الخمسة المثبتة اعلاه والتي تراها ضرورية في كل اصلاح من هذا القبيل ، ثم انها لا تتعلق الا بجانب واحد من القضايا المطروحة وهو اشكال الكتابة ، في حين انه لا بد من علاج قضايا الرسم وطريقة الكتابة . فضلا عن قضايا اللغة نفسها — وهو ما سأبسطه بالتفصيل .

الجماعي - هي التي يرجع اليها كثير من انواع الخط المشار اليها ، فكيف اذن يعروننا التلكؤ والتقاعس بشأن احداث نوع واحد فقط من الخطوط والدافع اليه ضرورة ملحة وليس الترف ومجرد التجميل ؟ ؟ ! !

ولسائل بعد هذا ان يتأكد من مصير الخط اليدوي في هذه البسطة التي قد يبدو له اننا خصصناها بخط الطباعة وحده ، والجواب اننا نربط احدها بالآخر ، بل ونؤسس ثانيهما على اولهما ، فما قلناه في هذا يقال في ذاك ، وما صدق على احدهما يصدق على كليهما ، الا انه فيما يعود الى اليدوي من الخط المنشود يجب ان يراعى فيه كما هو بديهي الوصل بين الحروف ليس التقطيع ، وان تتحرى فيه قابلية السرعة والاختزال ، وذلك فضلاً عن مراعاة البنود السابقة البيان .

وما تحقيق ذلك على « مهندس » متوسط المهارة بعزيز .. ، وعندئذ يرتفع عن خطنا الحرج ليحل محله الفرج ، يرتفع قطعاً وان كانت الآداب الدينية تقتضي توقيف ذلك على مشيئة الله ، وقد فعلنا في رأس الفقرة اعلاه ...

فاما اهل « سر الحرف في قراءة الكف » واما المتشبثون بحقوق الزخرفة واللافتات .. فيمكن لهم دون ازعاج ان يواصلوا ممارسة خطهم المبجل ، او « ذاك الطويل .. » الذي عجب صاحبهم كيف لم ينتبه فورا الى دلالته على المذراة .

السكر حلال ؟

ونفرغ الآن من مسائل الحرف لنشرع في بسط باقي القضايا التي تثيرها الطريقة الراهنة للرسم العربي ، والاصل في الرسم ان يكون كما قيل بحق ترجمانا عن النطق ، فينقل القلم ما يقوله اللسان ، نقلا وفيا

امينا ، فلا زيادة ولا نقصان الا بقدر ما يكون ذلك ضروريا للضبط والتدقيق ، واستدراكا لما عسى ان يفرط به اللسان من الضبط والتدقيق .

ومن دواعي الارتياح ان املاءنا العربي من هذه الناحية هو من خير الاملاء ، بل لقد أكد لي عارفون بكثير من اللغات الاجنبية انه افضل منها على الاطلاق .

وعلى اية حال فان املاءنا لا يعرف مثل احرف الزيادة الكثيرة — بدون زيادة في المعنى — والانقلابات الفوضوية ، وغيرها من التنطعات والطفرات التي يعانيها الرسم الانجليزي مثلا ، فهو — أي املاؤنا — على العموم ضابط ومضبوط .

ولكن ليس من شأني ان اشرح هذه المزايا او اتمادى في احصاء انواعها والحال ان غاية البحث هي تشخيص العيوب وبالتالي محاولة تفاديها ... وعلى هذا يجب ان نضيف القول بان ارتياحنا ليس مطلقاً ، وانه ليس مطلقا وبعض المنغصات تظلل دواعيه .

فهناك الفاظ مثل « هذا » و « ذلك » تنطق بالاشباع وترسم بـ .. الاجاعة ان صح التعبير ، وذلك دونما ذنب ارتكبته الا ان تكون قد عانت من بطانة في سالف الايام . والواقع ان هذه الكيفية المتنطعة في رسم مثل هذه الالفاظ لتعود فعلا الى بداهة الاشباع فيها عند المتقدمين واستغنائهم فيها عن البيان ، او قل انها « مخلفات » تاريخية لرسم قديم .

وليست مهمة طالب العربية اليوم كلغة للعصر والحياة مما يدخل فيها ضرورة العلم بكيف كانت ترسم لفظة (هذا) في « مصحف عثمان » ، كما لم يعد كل طالب يعرف او يقتنع ، بانه اشباع غني عن البيان .

فاما زيادة الواو في « عمرو » ونحوها من الزيادات فهي لا تندرج في باب العيوب التي يخالف فيها القلم اللسان ، لانها زيادة مفيدة وتدخل فيما على القلم ان يستدركه بمزيد الدقة ورفع الاحتمال . وانما نذكر المخالفة التعسفية وما يتسبب منها في اللبس والايهام .

وعيب الاشباع ذلك الآنف البيان لا يعد شيئاً يذكر اذا نحن واجهنا قضايا « الشدة » و « الحركات » . فالعيوب الراجعة الى هذه تبلغ من الضخامة والفحش حدا قد يجعلنا نتراجع فيما نسبنا الى الاملاء العربي من حسنات .

فاللغة العربية - ولربما شأن كثير غيرها - كثيرة الحركات الصوتية كثيرة الادغام ، وكان العرب من قبل لا يكادون يتعاملون بلغتهم الا منطوقة ، فكانت قضية الحركات والشدة مع الحروف سواء ، ولكن عندما اتسعت الآفاق عندهم واصبحت للغة ميادين عديدة واستعمالات في الكتابة ، وجدوا انفسهم وجهاً لوجه امام الحاجة لادخال الضوابط على الرسم المتبع حتى آنذاك ، فكان ما نعرف جميعا من ايادي الحجاج البيضاء في هذا الميدان . . . قبل ان تعرف في ميادين اخرى اياديه السوداء . . .

بيد أن ابراز هذه الضوابط من اشكال وشدة .. الى حيّز التطبيق متعذر التحقيق ، واذا كان لا يصعب على اليد أن تثبت الضروري منها فان أكثر النصوص لمطبوعة تكاد ان تكون خلواً حتى من الضروري لرفع اللبس والاحتمال ؛ وذلك فراراً من الجهود الفنية والنفقات الباهظة التي ترهق المطبعة من جرائها .

وقد بين الاستاذ « الشملي » في نفس الفقرة التي سبق ان استشهدت ببعضها ان إثبات الضوابط يتطلب تنضيد حروف الطباعة كرات بقدر

اجناس الضوابط وانواعها ؛ فكرة ترفق فيها الحروف بالفتحة ، وثانية بالضمة ، وثالثة بالكسرة ، ورابعة بالتنوين ؛ وذلك فضلا عن المدة والوصلة والسكون والشدة ..اهـ. – مجلة الفكر التونسية عدد فبراير١٩٦٠ صفحتي ٢٨ و ٢٩) .

ومجرد إجارة محتسب وحدها للقيام بحساب ذلك تستدعي محسوس التكاليف ، فكيف اذن تكون النفقات التي يكلفنا اياها هذا العمل المحسوب ؟!

فممكن والحالة هذه ان نعتبر تلك الضوابط في حكم العدم ، وان ننظر الى هذا العدم كسبب من عيوب الرسم والاملاء .

وتفصيل العيب هنا ان باللغة العربية الوفاً من الالفاظ فئات فئات تختلف نطقاً ولا تتمايز مفردات الفئة الواحدة بعضها من بعض في الرسم الا بواسطة الضوابط من شدة وحركات .

فاذا كتبت : فلان يخشى « الحمام » او قرأتها هكذا مجردة من الضبط ، التبس المراد وتردد الذهن بين الحمام (بكسر الحاء) الذي هو – حفظك الله – الموت ، وبين الحمام (بالفتح) الذي هو الطائر ، وبين الحمام بالتشديد ..

واذا قرأت او كتبت : ذهب عني « الحب) اضطرب كذلك الذهن بين انصراف المحبوب ، وبين زوال الحب وان لم يذهب المحبوب ، وبين الشفاء من المحبوب .. وهكذا قل في امثال هذه المفردات وهي لا تكاد تدخل تحت حصر تعدداً وكثرة ؛ ولكن مما يزيد الامر سوءاً ان المسألة لا تنحصر في المفردات وحدها بل انها تتعداها الى الصيغة نفسها وقالب الاشتقاق ؛ ومعنى ذلك ان كثيراً من الجذور او المواد اللغوية من

غير المفردات المتشابهة شكلا هي ايضاً عرضة لنفس المصير ، وذلك كلما صرفت الى بعض التصاريف المعينة مثل صيغتي اسم الفاعل واسم المفعول من غير الثلاثي . ك (مكرم) و (مستخرج) ، ففي النطق يظهر غالباً الفرق بين من حصل منه الاكرام او الاستخراج ، وبين من كان موضوعاً لهما ، غير ان الرسم لا يفرق بينهما الا باضافة الاشكال ، وقد تقدم ما في هذا من تعذر وتكاليف ، ثم انه لا يفرق بينهما الا بروح الجملة والسياق ، وهذا غير مضمون ولا متأتٍ دائماً ، ومن ثم فقد سبق ان رفضنا كمبدأ في هذا البحث كل ما يتكيء معناه على السياق.

هذا واذا امكن القول بأن عيب التشابه بين المفردات يقلل من خطره قلة استعمال جميع مواد الفئة الواحدة منه ، فانه لا يمكن إنكار كثرة ورود الصيغتين في الاستعمال ، وهي كثرة راجعة الى مقتضيات التعبير نفسها ..

واذا امكن القول بأن خطر تشابه رسم المفردات قد لا يذهب دائماً الى حد تضادد معاني مواد الفئة الواحدة ، فانه لا يمكن كذلك انكار التباعد القائم بين مدلولي اسم الفاعل والمفعول ، هذا التباعد البالغ الى حد التخالف والتضاد ... الامر الذي يضطرنا اضطراراً في كثير من الاحيان ألى ان نقحم على السياق ما هو غريب عنه ؛ فنكتب او نقرأ : مثلا « مستعمر بالفتح – مستعمر بالكسر » ، « السكر بضم بسكون . السكر بضم السين وتشديد الكاف المفتوحة .. الخ » . وذلك فضلا عما يرجع الى الحروف من مثل هذا العيب مثل : « .. بالياء المثناة من تحت ، والخاء المعجمة من فوق .. والدال والضاد .. وو..»

وهكذا تضطرنا الطريقة الحالية في رسمنا العربي الى ان نكتب الحركة او الشدة مثلا ، لا مجرد حرف بسيط او شكلة ، بل كلمة مركبة من

عدة احرف .. بل وجملة مركبة من كلمات ! ويلي ! لقد نسيت أن ذلك هو ما يحصل ايضاً حتى بالنسبة الى جزء الحرف فقط ، النقطة!!

ومع هذا كله يتبجح المتبجحون – وتوبة ان كنت شابهتهم – بمزايا املائنا العربي ، وبكونه مختصراً .. ، كما أوشك ان يغرر بي ذلك الصديق الذي اكد لي صدر هذه الفقرة – وان باعتبار آخر – أن املاءنا خير من كثير ..

توبة ! .. ولكن لا ان كنت « بحبك تاني » ايها العزيز .

على ان ما ذكرناه ليس هو الوحيد من العيوب الناتجة في هذا الباب ، ففضلا عن نقل الحرف او جزئه الى كلمة او كلمات ، فانها – اعني التلفيقات والترقيعات المشار اليها – تتسبب في قطع انسياب ذهن القارىء وتجعل شبح اللغويين طافياً على النص ، حيث كان يجب اخلاؤه لاشعاع الفكر وشيوعه على القارىء المستفيد .

ولمن لا يقتنع بذلك ومدى تأثيره من « السكولاريين » واشباههم المتزيّين ولا متحصرمين ان يختبروا قولنا هذا فيما يقرأون من قصص جنسية وبوليسية يلبس فيها الرسم – لولا التحقيق – بين « بطل » وآخر .. ان كان مؤلفهم يكلف نفسه عناء التوضيح ..

هذا وبعد ان سلمنا جدلياً نعود فنذكر واقعياً الزعم القائل بقلة خطر الالتباس في الالفاظ المتشابهة بناء على انه يصل دائماً الى حد تضادد معاني الفئة الواحدة بعضها بعضاً كما هو الشأن بين مدلولي اسم الفاعل والمفعول .. ؛ والحق اننا لم نجعل من التضاد مثلا « اعلى » للالتباس ، بل ليكفي في توفيته ان يحصل التباين والتغاير بين ما يوهمه الرسم وبين المراد ؛ وانه لتباين ليس فيه مراء .

وليس اقل من هذا بطلانا الزعم الآخر القائل بتناقص استعمال هذه المتشابهات في النطق وبالتالي في الاملاء ؛ فانه وان صح ذلك بالنسبة الى مفردة كالحِسب (بالكسر) او الحِمام كذلك حيث اشهر منهما لفظتا المحبوب مثلا والموت ، فانه بالنسبة الى البـاقي من مفردات فئتيهما ، لظاهر البطلان .

ذلك بانه ما دامت الحاجة الى معنى ما قائمة في الفكر والحيـاة ، وما دامت لفظته متماشية مع الاحوال التعبيرية ، فانه ليس يوجد حتما ما يحمل هذه اللفظـة على الانزواء وتناقص الاستعمال ؛ فأما اذا ما تعرض المعنى نفسه الى الغنى عنه او خالف لفظه مقتضيات التعبير ، فان الانزواء هنـا او تناقص الاستعمال لا يكون كما هو واضح خاصاً بالمتشابهات ، بل شاملا لها ولغيرها من جميع انواع المفردات .

وليس هناك اي دليل احصاء ومقارنة يثبت ان « معدل » التناقص في استعمال المتشابهات رسما المختلفات معنى كما تقدم ، هو « أرفع » منه في المفردات الباقيـات ؛ لا ، وليس دائماً ممكناً وصواباً ان يُلتجأ الى تعويض مفردة بأخرى و « اءرام » لفظة ما تخلصاً من عواقب الطريقة التي ترسم بها حتى الآن .

*

فاذا ما أضفنا عيوب الرسم في المتشابهات الى عيوبه في الصيغة بعد عيوب الحرف ، وقدرنا مدى امكانية توزع ذلك فيما نكتب ونقرأ من النصوص ، تبين بدون جهـد النصيب « الاجمالي » من الاضطراب والالتواء واللبس الذي تعانيه ثقافتنا المكتوبة والذي يعانيه ، من ثم ، ابناء هـذه الثقافـة ، ما يعانونه من نفس الوصمات في التفكير ومن نتائجها في السلوك والحياة . ومع هذا كله يتمسك المتمسكون بالمحافظة

على املائنا الحالي غير شاعرين بالتسمم الناتج في ثقافتنا من جرائه .

وانه لتسمم يفوق كل نوع معروف ان تتصف ثقافة ما بعوامل الالتباس والالتواء والغموض ، في حين ان مجرد خلو الثقافة الحق من مثل ذلك لا يظل وحده كافياً ... بل ولا بد ان تكون فيها متمكنةً خصبةً عواملُ الدقة والوضوح .

وليس وجود ما يلبس معنى بآخر في ثقافة ما ، مما يجعلها منتجةً خيراً في عصر أساس البقاء فيه العلم ، العلم المبني على الدقة والوضوح .

وليس وجود الالباس في ثقافتنا المكتوبة بالقليل المظان ، قلة يمكن ان تحتجز في نطاق خاص على ما يفعل بعض المرضى .. ، ولكنها كما رأينا مظان تشمل صورة الحرف ، وشخصية الحرف ، وجزء الحرف ، مثل شمولها صورة اللفظة وصورة صيغة اللفظة ، أي ، وبالتالي ، جميع كلامنا المرسوم !(١) .

فهل نكون اذن بعد هذا الا مقصرين فيما أثرناه من شأن العيوب وأنذرنا به من الخطر ؟! مع العلم باننا لم نذكر بعد سوى عيوب الرسم وحدها ، وغيرها كما سيأتي في موضعه — والحمد لله — كثير ...

الحل بسيط :

ومع هذا فان معاناة المريض لاخطر داء لا تدل دائماً وابداً على ان

---

(١) بقيت مسألة الارقام المستعملة حالياً عند اغلب الاقطار العربية ، وهي تنطوى على كثير من عوامل اللبس وخير منها الارقام الاخرى التي يستعملها الان الاوربيون فيا حبذا لو استخدمناها نحن ايضاً كما فعلت تونس لان هذه الارقام اضبط وكلا النوعين هندي الاصل وقد استخدم العرب في الماضي النوعين كليهما ...

علاجه لا يتحقق الا باعقد دواء وابعـده منالا ، بل لقـد يكفيه من ذلك اهونه ويقضي ان يحرم منه ..

والحق ان بعض الاقتراحات لإزالـة عيوب الرسم العربي قـد اعلنت فعلا — على ما اشرت في صـدد سابق جعلته نوعـاً من هـذا الباب مستقلا — ولكنها مع الاسف لم تكن لتتصف باهم شرط في كل علاج ، مثلما لم تتصف تشخيصات العيوب بغير التسرع والاجمال ؛ رغم ما وراء ذلك في بعض الاحيان من نزعة الى التحسين والاصلاح ...

وقد سبقت الاشارة الى دعوة استبدال الحرف العربي باللاتيني ، كما سبق بيان الاساس الحضاري الذي اعتمدته في رفض الدعوة ، ونعود الآن فنبين اوجهاً أخرى للرفض واسباب الانكار .

ومؤدى هذه الاوجه او الاسباب الاضافيـــة ان الاخـــذ بالكتابة اللاتينية يوقعنا في محذورين اثنين بعد المحذور الأول ، ثم ولا ينقذنا من جميع العيوب التي بني الاقتراح على ادعاء تلافيها .

١ — فالطريقة اللاتينية بتحويلها جميع الحركات العمودية على السطر الى حروف أفقية عليه ، تجعل اللفظة العربية تزداد كمية من الحروف قد تساوي معدل الضعف ، فيصبح الفعل « فهم » مثلا ، يصبح هكذا « Fahima » ، فهذه الزيادة وان كانت لا تستتبع قدرهـــا من مساحة السطر وكمية الورق ، بواقع ان الخط اللاتيني (المطبوع) انما يمتد الى اعلى خلافاً للخط العربي الذي عرضه — بسبب كونه موصولا — اطول من ارتفاعه ، اقول ان ذلك وان كان صحيحاً ، فانه لا يكفي ان يكون شفيعاً او مهوناً من زيادة الحروف بمعدل كالضعف .

ثم ان التباين الكمّي بين تركيب مواد اللغة العربية واسلوبها ،

وبين مثل ذلك في لغة تكتب باللاتينية كالفرنسية مثلا ، تحيـل لفظتنا اطول من لفظتهم كلما كتبناها بطريقتهم .

واذا كانت المقـارنة لا تبرز احياناً من الطول فادحـة كما هو الحال بين شرب « Chariba » وبين مقابله « Boire » رغم التفاضل البارز - فان الطول ليبدو فاحشاً في كثير من المقارنات ولا سيما عندما يعود الامر الى مسألة الاسلوب حيث هناك من التعابير مـا لا تؤديها الفرنسية الا بجملة كاملة فتكتبها في صور الفاظها المنفصلة ، بينما هي لا تؤدي في العربية بغير كلمة واحدة ، ولا تكتب من ثم بغير صورة موصولة واحدة ؛ فيصبح الفعل ومتعلقاته في قوله مثلا : « سنستدرجهم » هكذا يكتب : « Sanastadrijouhoum ».

وغير خفي ما في مثل ذلـك من عيوب فنية وبسكولوجيـة واقتصادية بسطنا مثلها فيما تقدم ...

٢ - والمحذور الثاني بعد ما تقدم ان اللغة العربية تحرص وتأخذ بعـين الاعتبار مسألة الاشباع - الاساسي فيها والشائع - حتى ان اللفظة ليتبدل معناها تبعاً لوجوده او عدمه .. فضلا عن قضايا الوزن الشعري ؛ فأما اسلوب الطريقة اللاتينية في الكتابة فهي لا تكاد تقيم وزناً ولا تفريقـاً بين الصوت الذي هو حركة وبين الاشبـاع الذي هو حرف علة - اصيل او مقلوب -- ، ومن ثمـة تصبح لفظتان كـ « رمى » و « رام » تكتبان على صورة واحـدة ، هكذا (Rama) !! - وانه لعيب ينطوي على عيوب .

هذا وقد يقال انه يمكن تفادي امر الاشباع ذاك باضافة بعض الحروف الاخرى او ادخال علامات تميّز بين ما هو حرف اشباع وبين ما هو حرف حركة . وقد يكون هـذا مناسبـاً اذا نسينا

الحقيقة المتمثلة في ان الحرف اللاتيني لا يفي بتصوير جميع مخارج النطق العربي ؛ واذن فسنجـدنا مضطرين – فضلا عما تقـدم – لاضافة كثير من الاشكال الاخرى والعلامات والحروف واجزاءها .. حتى تمكن قراءة نصّ ما ؛ فتصبح مطة هنا واخرى هناك ، وهذه مائلة وتلك افقية او عمودية ، وهذا حرف مركب وذاك مهمل لا ينطق به منفرداً . وهلم تلفيقاً .

وغير منسي ان تشخيصنا السابق لعيوب الرسم العربي الحالي انما كان قد آخذ هذه التلفيقات عينها ، كما اعتمد على عيوب التشابه في رسـم لفظتـين معناهمـا مختلف ؛ ومـا لذلك من عواقب وتكاليف .

فالدعوة اذن الى الاخذ بالخـط اللاتيني ، فضلا عن مخالفتهـا لاساسنا الروحي ، لا تلبي الحاجة التي حملت عليهـا ، اى ان واقعها يخالف نفس ما تعللوا لما به من مبررات ، بل وانها كما رأيت لتوقعنا في عيوب جديدة لا توجد حتى في رسمنا الحالي الذي نقدناه ، وذلك لعمري شر علاج ، واصلاحٌ خيرٌ منه ترك ما كان على ما كان .

*

تلك كانت ولا تزال أشهر دعوة الى تلافي عيوب رسمنا الحالي تناولت كل جـانب منهـا حسب ما يناسب كل مفصل من مفـاصـل الموضوع ، بيد ان اشهريتها هذه لم تكن لتعدلهـا في شيء قيمتها الحقيقية وخطوات التأدي اليها ، فلم يكن الداعون اليها ، كما رأيت ، قـد كلفوا انفسهم مشقه تذكر فتشكر مما يقتضيه البحث والتقرير السليم ، فلا هم شرحوا العيوب شرحاً وحللوها ، ولا هم قسموها فقراً

وفصلوها ، وانما هي لمحة خـــاطفة ونظرة عجلة ، أحسوا بالحرج ولم يـــدروه ، وبالداء ولم يحسوه ، فكان طبيعيـــاً أن يشبه التشخيصَ العلاجُ ...

وفي الموضوع اقتراح آخر اقل من الاول شهرة ولكنه اوفر منـــه سداداً ، ومؤداه ليس كتابة الحركة حرف علة لاتينياً (Voyelle) الى جانب كتابة سائر الحروف على نفس الصورة اللاتينية بل انـــه يدعو فقط الى تحويل الحركة الى الحرف العربي الذي تقتضيه فيما لو كانت مشبعة ، مع عدم استعارة اي حرف اجنبي .. ، وعليه تصبح الصورة الجديدة للفعل « يكرم » مثلا هكذا : « يوكريم » أو « يوكريمو » .

وهذه الطريقة وان كانت لاكثر من وجه اقل من سابقتها رداءة الا انها مع ذلك وفي نفس الوقت ، لا تخلو من بعض مساوئها الهامة ، فهي مثلها تثير مضاعفات الاشباع ، وكثرة العلامات الضابطة ، وتزايد كمية الحروف بمعدل مرتفع .. ، لما هو واضح على ضوء ما سبق .

*

اما الاقتراح البسيط الذى يقدمه اخوك البسيط فيتخذ كقاعدة له معتبرة نفس الاستنتاجات التي يجب ان تستنتج من نفس التفصيلات التي شخصت على ضوءها مواطن الداء .

وقد عرفنا ما يرجع منهـا الى الحرف فعرفنا « وصفتها » ، وقـد عرفنا كذلك ما يرجع منها الى صورة اللفظ وصيغتها ، فاذا امكننا ان نعرف ايضاً علاجه اللازم نكون قد حللنا اهم ، ان لم يكن جميـع مشاكل رسمنا الحالي وخلصناه من العيوب ..

والواقع ان عامل اللبس في هذا النوع انما هو ، كما مثلت ، تردد

الحرف بين انواع الحركات والسكون والشدة ، فالطريقة اللاتينية او طريقة تحويل ذلك الى حروف تحل من هذه الناحية المشكلة وترفع الالباس . فلنسارع اذن الى موافقتهما على ان اثبات العلامة المناسبة بجدٍ لنفي ذلك التردد والالتباس .

غير ان هذه الموافقة لا يمكن ان تتجاوز المبدأ الى التفصيل ، ذلك بأن الطريقتين تقضيان باثبات علامات الضبط تامة مع جميع احرف اللفظة وفي كل المناسبات ، بينما لا تدعو طريقتنا هذه — الآتي بسطها — الى غير الاقتصار من ذلك على الضروري والمفيد .

ولمحة سريعة على الفاظ لغتنا تكفي للتيقن من ان اطلاق الضوابط وتعميمها — فضلاً عن عيوبه — هو امر لا تقتضيه حاجة ولا ينتج فائدة دائماً وأبداً .

فاللبس بعد اصلاح الحرف على الطريقة التي اقترحناها انما يصبح منحصراً في الصورة الكلية للفظة من حيث انها مركبة من عدة احرف أما بالنسبة الى الحرف نفسه فيرتفع ، وبعبارة اخرى : فانه يصبح منحصراً بين الالفاظ بعضها ببعض وقد كان يشملها ويشمل الحروف كذلك ..

ففي صيغة « مكرم » مثلا يكفي تعيين حركة الراء وعلامة التشديد او تركها حتى تتعين لاحد المداليل التي كان يتردد عليها الذهن قبل الضبط . وفي المفردات المتشابهة من نحو « الحب » و « السكر » و « الحمام » يكفي كذلك ضبط الحرف الملبس فقط ، وذلك مع الاستغناء عن ضبط جميع حروف اللفظة الواحدة .

اما فيما يعود الى نوع هذه العلامات الضابطة فيجب ان تكون كما

هو واضح مستقلة الصورة : استقلال سائر الحروف المنشودة بعضها عن بعض .

والى ان توجد هذه العلامات اصطلح مع القارىء على اشكال توجد بالمطبعة استخدمها للتمثيل وبيان مزايا الطريقة . ولتكن الارقام . ولتكن دلالتها كالآتي :

١ – معناه ان الحرف الذي قبله مرفوع .
٢ – معناه ان الحرف الذي قبله منصوب .
٣ – معناه ان الحرف الذي قبله مجرور .
٤ – معناه ان الحرف الذي قبله مشدد .
٥ – معناه ان الحرف الذي قبله ساكن (عندما نحتاج الى ضبط السكون) .

وعليه فاذا اقتصرنا على رفع موطن اللبس وحده كتبنا الكلمات السابقة هكذا : - (مكر٣٤م) للاسم الفاعل ، من كرم المضاعف – (مكر٢٤م) لاسم المفعول منه – مكر٣م) لاسم الفاعل من اكرم المزيد اوله بالهمزة – (مكر٢م) لاسم المفعول منه . – سكر٢٤ر) للمادة الحلوة - (سكر – بدون زيادة أصلاً) للحالة الناتجة عن شرب الخمر ..

لا جرم ان هذا الضبط يجعل الالفاظ اشبه برموز الكيمياء منها بالكلمات العادية . ولكن هذا ليس الا تمثيلاً حسب امكان المطبعة كما قلت ، اما بعد استحداث الخط المنشود فتصبح الصورة جميلة ومتآلفة .

على نحو هذا تسدّ الحاجة من امن اللبس كما توفر عيوب استعارة

خط اجنبي وعواقب « المضاعفات » من الخلط بـــين حروف الاشباع وحروف الضبط ، وطول اللفظة الفادح ..

والسؤال هنا الجدير بالاثارة هو ان الاقتصار على ضبط علامات اللبس وحده ليقتضي سالف المعرفة بأن للفظة الفلانية اكبر من معنى واحد النطق ، مشتبه الصورة ، في حين ان طرد جميع احرف اللفظة عـلى الضبط التام يغني عن تلك المعرفـة .. وبعبـارة اخرى : ان الراسم يصبح مضطراً الى العـلم ، لا بلفظته التي يريد رسمها وحسب ، بـل وباللفظة الاخرى المشابهة المحتملة الوجود . من يدريه أن لـ « الحب » كمشق (الحَب) كاسـم جنس للحبـة والحبـوب - و « الحِب » كمشوق ؟ من يدريه حتى يضبط الحاء ؟ ام هل يجب ان يقوم بمراجعة القاموس كلما اراد رسم لفظة ؟ لانه كان يجهل مجابهات اللفظة اقتصر على الصورة المقصودة منها ولم يدخل اي ضبط لانتفاء اللبس عنـده . وعاقبة ذلك تظهر عندما يأتي عارف بأوجه اللفظة فلا يدري على أي معنى يحملها !!

أليس اذن ان هروبنا من عيب كإطالة صورة اللفظة قد اوقعنا في عيب انكى ، في المراجعة والاستشارة والتوقف وكثرة المجاهيد ؟ وإذا كان كل تلميذ يعرف ان للصورة (السكر) احتمالين ، فكم من واحد يعرف مثل ذلك في صور اخرى اقل شهرة ك (الخصلة) مثلا ؟

والواقع انه سؤال جدير بالطرح فهو جدير بالبسط ، جدير بهما وان لم يكن لينال ذلك من اساس الحل الذي قدمنـاه ، لا ولا من بغض اجزائه ، وانما هي شبهة تدعو الى الرفع ووهم يتطلب الازالة .

ذلك بأن نظرة اخرى الى الكلام العربي ترينا اننا لا نحتاج دائمـاً لتلك المعرفة التي تتجاوز حدود اللفظة المقصودة الى المحتمـلة ، بل ان

هناك وسيلة تمكنا غالباً من التعويض عنها .

فالكلام العربي – بصرف النظر عن بعضه – يجري على قوالب تصاغ حسب المراد هي ما يعرف « بالاوزان » ، فاذا ما عرفها الطالب عرف كذلك ما يلبس منها في الرسم وما لا يلبس على الاساس الذي بينته في استجلاء عامل اللبس بين صورة واخرى ، فيضبط هنا ويستغني هناك .

فاما من كان يجهل مداليل الاوزان والكيفية التي يصاغ عليها كل مدلول فهو عاجز اولاً وقبل كل شيء عن النطق الصحيح ، ومن ثم فرسمه يكون مخطئاً سواء اثبت الضبط تاماً أم أثبته جزئياً فقط .

على ان المنهج الجدي الذي حاولت اخذ نفسي به في هذه الدراسة يقتضي ألا أكتبت هنا ما يثيره ذلك بالنسبة الى غير الراسم – القارىء اذ انه وان كانت معرفة الاوزان ضرورية بالنسبة للنطق الصحيح وبالتالي للرسم الصحيح فان القارىء المبتدىء لا ينبغي ان يتوقف على ذلك فيما يطالع ، والا ساعده ترك الضبط الكامل على حفظ المفردات والصيغ على غير وجهها الصحيح ، وتعليم جميع الاوزان للتلميذ البسيط حتى يعصم من الخطأ امر غير واقعي لتطلبها ذهنية انضج من ذهنية طفل صغير .

والواقع اننا لم نقل « بتحريم » الضبط الكامل ومنعه في جميع الاحوال والمناسبات ، وانما قلنا بقصره على ما يفيد في بعض الظروف والاحوال . فاما ان يلتزم التزاماً في كل الاحوال والمناسبات وقع لبس او لا ودعت الحاجة او لم تدع فهذا ما نناهضه .

وعلى هذا الاساس يمكننا ان ندخل في كتب التعليم الابتدائي الضبط

التام وفي مرحلة منه يعلم التلميذ بعض الاوزان البسيطة الكثيرة الاستعمال مثل صيغتي « فاعل » و « مفعول » ، فاذا ما تعلمنا بيّنا له انهما لا يحتاجان الى الضبط فلا فائدة في اثباته .. ، وهكذا يسير فن الصرف والرسم في مراحل اخرى جنباً لجنب ، فلا يقطعها التلميذ الا وقد ألمّ بالنطق الصحيح والرسم الصحيح معاً ، وبذلك نوفّر له — فضلاً عن هذه المزية — مجاهيد تشعب الذهن فيما لو لقن مبادىء الصرف واللغة على حدة ، ومبادىء الرسم على حدة اخرى .

على ان الكلام العربي في حالته الشائعة لا يجري كله على اوزان قياسية يكفي الطالب ان يعرف هيكلها حتى « يصب » فيها الصيغة حسب المعنى المراد فيسهل عليه الرسم والقراءة ، اذ ان هناك اوزانا شاذة متنطعة لايعرف الا « بالسماع » حتى تأتي على هذه الصورة ومتى تأتي على تلك ، وهذا مثل بعض اوزان الفعل الثلاثي ، كما ان هناك مواد اخرى ارتجلت ارتجالا او كما يقال جامدة لم تشتق اشتقاقا ولم يعرف اصل مادتها ، وهذا كلفظة الحمام مثلا التي سبق ان مثلت بها كصورة تتنازع عليها ثلاث معان مختلفة لكل ميزة في النطق ، فمن يدرينا اذن لولا السماع ان معنى الموت منها هو بكسر الحاء ، وان الآخر بالفتح ، وغيرهما بالتشديد ؟

فهل لا تعود بنا اذن هذه الظاهرة الى ضرورة استشارة المعاجم كلما اردنا ضبط اللفظة على الطريقة الجزئية ؟ او يعود اليها المبتدىء على الاقل كلما اراد التثبت من نطقها الصحيح ؟ !

وللاجابة على المسألتين كلتيهما اعني الاوزان الشاذة والمفردات المرتجلة الجامدة ، أقول ان القسم الآتي من هذه الرسالة والذي يحتوي على قضايا لغوية - بعد ان خصصت هذا القسم لمسائل الرسم — سيعالج هذه القضية نفسها فيما يعالج ، فاترك بسطها الى هناك . غير اني اعلن

منذ الآن ان الشاذ والسماعي وكل تنطع لغوي ليجب ان نخضعه للوزن والقياس ، الامر الذي يجعل صعوبة الرسم المثارة آنفا في هذا الموضوع لا تستند الى اساس ، فاما ما عسى ان يتمرد من الاوزان على الاخضاع والتشذيب ، واما المفردات الجامدة المتمردة ، كذلك ، فستصبح نادرة حتى انه لن يضير ان نثبت ضبطها تاماً كاملا — لانها بحكم قلتها لن ترفع من كمية الاحرف رفعا يذكر — ولا بالمثل تفد عن الحصر وقد اخذنا بطرد القياس .

هذا ولا يتوهمن احد بان كثرة هذه التفاصيل النسبية التي قدمتها مما يقتضي كثرة مماثلة في قواعد الرسم الذي اقترحه ، ففضلا عن ان تحليل ابسط موضوع قد يستدعي تكريس مجاهيد مضنية واوراقا عديدة — وهذا ما لم يقع — ، واقول فضلا عن ذلك فان التفاصيل والشروح التي تقدم في هذا الميدان ليست الى التلميذ موجهة كما هو بديهي بل الى المهتمين بالتعليم والمسؤولين عنه ، فاما التلميذ نفسه فليس عليه غير ممارسة نتائجها والانتفاع بثمرتها .

فالى اولئك يرفع التفصيل الآنف : والى المبتدىء تقدم الخلاصة التالية :

« تضبط مواطن اللبس فقط في كل وزن قياسي يختلف نطقاً مع وزن آخر ويتحد معه في الصورة لولا الضبط ، وذلك بقدر ما يحصل الحد الادنى فقط من التمايز بين صورة واخرى وتضبط المفردة كلها فيما عدا المقيس » .

هذا وربما كان من المناسب ان نقوم الآن بمقارنة بين الطريقة التي ندعو اليها وبين الطريقتين المنقودتين ، مقارنة تتناول بيان نسبة تزايد احرف الضبط بعد ان بيناها بصفة اجمالية وبعد ان بيّنا سلامة طريقتنا

من العيوب الاخرى التي وقعت فيها الطريقتان .

لنأخذ الصورة (اكرم) مثلا ، فمحتملاتها من غير المضاعف هي : الفعل الماضي المسند للفاعل المذكور ، والفاعل المجهول . والفعل المضارع كذلك . وفعل الأمر ؛ فاذا ما اردنا ضبط هذه المداليل الخمسة بقدر ما تتمايز فقط وينحسم التردد واللبس ، كانت جملة الاحرف الاضافية تساوي في مجموعها كلها تسعا فقط كما في التمثيل الآتي :

الماضى المبني للمعلوم : (اكر ٢ م ٣) الزيادة الضابطة = ٢
الماضي المبني للمجهول : (أكر ٣ م ٢) الزيادة الضابطة = ٢
المضارع المبني للمعلوم : (أكر ٢ م ١) الزيادة الضابطة = ٢
المضارع المبني للمجهول : (أكر ٢ م ١) الزيادة الضابطة = ٢
فعل الامر : (أكر ٣ م) الزيادة الضابطة = ١
الجملة (احرف اضافية) ٩

فاما بالضبط الكامل فترتفع الزيادة الى عشرين حرفاً (٢٠) هي جملة الضوابط على مجموع حروف الامثلة الخمسة .

فالنسبة التي توفرها طريقتنا تربو عن النصف ؛ ومعنى ذلك ان النص الذي تستغرق طباعته بها ٩٠٠ صفحة ، يحتاج اذا طبع باحدى الطريقتين الى ٩٠٠+١١٠٠ (كمية الفرق) اي الى الفي صفحة (٢٠٠٠). وهو فرق يغنينا عن بيان تكاليفه في المطبعة وفي الثمن وفي الاخراج .

هنا « المسهل » يكفي :

هذا وهناك عيوب اخرى في الرسم لا تعود الى تعريض المعنى للطمس كما هو الشأن في العيوب السابقة ، وانما ترجع الى ما لا يقل عن

ذلك استرذالا ، ونعني بها كثرة القواعد المتعلقـة برسم الهمزة ، فهي تارة تكتب على الالف ، واخرى على الواو ، واحياناً على النبرة وتارة على السطر ، او تلقى فوقه القـاء ؛ ولكل قواعد وكلام ، مما أدى بعضهم الى تأليف كتاب كامل في كيفية رسمها ؛ ليس هـذا وحسب بـل ان الموضوع لا يخلو من النزاع ، فبعضهم يرى ان ترسم حسب حركة الحرف قبلها ، فتكون قواعدها تابعة لذلك ، وبعضهم يرى ان ترسم حسب حركتها هي بالذات ...

هذه الكثرة في قواعـد رسم الهمزة والاختلاف على المرجع المراعى فيها جعلت الطالب لا يكاد يثق بما يرسم هو ، وكثيراً ما يشك في صحة رسم غيره .

وربما كان علينا ان نصبر على هذا التعنت - ونتمثل بشعر من قال : « ومن يخطب الحسناء لا يغلُه المهر » .. لو أن الامر تعلق بمسائـل يتوقف عليها المعنى وتقتضيها ضرورة التعبير ، ولكن العكس هنا هو الحق : إذ من الممكن ان تبسط قواعـد رسم الهمزة تبسيطاً يغني عن بذل المجاهيد عبثاً ولا يوقع في لي مكروه .

والواقع ان الهمزة لا تعدو ان تكون حرفاً كسائر الحروف ، فمن هذه الناحية يجب ان يجري عليها ما يجري على غيرها ، فتكتب اذن على السطر دائماً كما يكتب اي حرف آخر وتضبط حين الحاجة با لضابطة المناسبة على حد سواء ، فترسم (قرأ) مثلا هكذا : (قرء) وبالضبط هكذا : (قرء ٢) .

هـذا مع صرف النظر عن إقرار وإنكار النطق بالهمزة على حالته الفصحى الراهنة ، فاما اذا ما لاحظنا ثقلها على اللسان ومجافاتها لذوق

الدارجة [1] اعني ذوق الجمهور العربي القائم ، فان وجودها سواء رسمت حرفاً او كتبت على الاسلوب التقليدي يصبح نادراً قليلا .

والواقع ان تخفيف الهمزة الى حرف اشباع منـاسب لحركة ما قبلها اسلوب معروف منذ القديم ولا يقل فصاحة ، فليس الا من باب التقعر والتشادق ان نلتزم نحن المعـاصرين الهمزة التزاماً ، ونطردها في جميع المواطن والاحوال ؛ واعتقـد انه حتى ولو ظلت العربية المعروفـة بالفصحى تسير بمقتضى عواملها الداخلية فقط لكان الهمز قـد اختفى اليوم تماماً ؛ ولكن بما ان عربيتنا المكتوبة قد اقتطعت اقتطاعـاً من العربية في مرحلة غابرة فقد ورثت عنها فيما ورثت هذه الهمزة .

وبعد فان الهمزة فضلة من فضلات اللغة المترسبة بفعل قلة الحيويـة والانتشار اللذين صارت اليهما ؛ وكما ان شربة المسهل تفيد في حالات فسيولوجية مماثلة ، فعملية التسهيل هنا ايضاً مفيدة .. وضرورية .

هذا واذا كان للتسهيل فوائد تتعدى الرسم الى اللغة نفسها فانه يجب ان يقيد ولا يطلق والا ذهب بالفضيلة مساوىء .

ذلك بأن هناك كلمات مهموزة لو سهلت لالتبست بكلمات اخرى ذات مداليل مغايرة . ان النوعين يصبح على صورة واحدة ، وهـذا مثل : (سأل) من السؤال و « سال » من السيلان . واذن فلا بـد من مراعاة تفصيل كالآتي :

« تسهل الهمزة في كل لفظة لا تؤول الى صورة لفظة مغـايرة ؛ وتثبت فيما يؤول ، ففي الحالة الاولى تنطق وترسم اشباعاً مناسباً لحركة

---

(١) زرت مصر فتبين لي ان الهمزة فيها هي اكثر الحروف استعمالا .

ما قبلها ، وفي الحالة الثانية ترسم كما يرسم كل حرف وتتبع بالضبط ان لزم » .

هذا ولعل في الحالة الثانية من القاعدة نقصاً هو كيف ينطق بها اذن وقد اثبتت وقد جافاها الذوق الدارج فهو لا يعرفها الا متحركة .. لهذا التلميذ يقال : هل عرفت الفواق (الفواقة) تلك الشهقات المتقطعة ، على اثر فلفل تأكله ، على اثر لقمة رديئة المضغ تزدردها ، ذاك الصوت الذي تحدثه المعدة هو مماثل لصوت النطق بالهمزة .. ساكنة . والله اعلم .

بقيت مسألة :

... وتنحنح الشيخ – ولسنا هذه المرة في ُكتّاب كما اصطلح عليه الناس .. تنحنح وهو يتصبب عرقاً ، ليستعد لبسط درة مكنونة في صدره العامر ... وذلك بعد ان فرغ تواً من « قتل » « باب » « الغسل ورفع الحدث الاكبر » . واشرأبت الى فمه اعين هنا ، وتثاءبت افواه هناك ، وانطلقت ارجل متسللة الى الهواء الطلق ..؛ ما علينا ، انفتح باب العلم فاستهل الكلام قائلا : بقيت مسألة ، ثم تابع علاّمتنا يقول : (ما حكم الرجل تدخل ساقه في ..؛ هل يجب عليه الغسل ام لا ؟)

واني على مقتي لاساليب هذا الشيخ اخشى ان اكون قد شابهته في بعض عملي هنا من حيث لا ادري ، شابهته فيما اطلت وفيما أنوي ان اضيفه إلى كل ذلك .. فقد بقيت بالفعل مسألة تتعلق بالرسم ، تتعلق به وان لم تكن من نوع العيوب السابقة ، وان لم تكن ايضاً الا نوعاً من المحسنات والاساليب المفيدة في الرسم ، وبالتالي في الثقافة نفسها ، وهذا ما يعذر « مسألة » اخيك هذه ، بل ما يحتم عليه وعلى

القارىء ايضا متابعتها .. ان كانا يحاولان الاقتراب من الاحاطة والتوفية والجد فيما يقرآن ويكتبان .

على أنني لن أطيل الحديث ، وما اقصده يمكن ان يعود الى نقطتين :

١) الاحرف الكبيرة المعروفة في لغتها بـ « الماجسكيل » .

٢) اختصار الكلمات الى بعض حروفها .

أ ــ فللحرف الكبير في الرسم الاوربي دلالة هامة ؛ فهو يعني ان الكلمه المبدوءة به اسم علم وليست اسمـا مشتركا او صفة ، كما ان كتابة اللفظة كلها به تعني ان المقصود ليس هو المعنى الشائع بل اصطلاح او مجاز او نحوهما ، فيجعلها الحرف الكبير بالنسبة الى البنط العـام المطبوع به النص متميزة مستقلة .

والرسم العربي قد ظل حتى الآن محروما او يكاد من فائدة كهذه ، حتى اذا ما اراد تحصيلها حصر اللفظة بين قوسين او كتبهـا بقلم من غير الذي طبع به النص ، فظهرت ، بسبب من عيوب الصورة التي ذكرتها ، نافرة غريبة .. فضلا عن كونها لا تماشي قانون الاقتصاد العام بمخالفتها لاتحادية الخط .

واذن فلا بد من استعمال طريقة الحرف الكبير في الرسم المنشود ، كما يجب التدقيق في مراعـاة سائر الضوابط التفصيلية كالمطة والفاصلة

ب ــ واختصار الكلمات الى بعض حروفهـا عملية شائعة جداً في الرسم الاجنبي كما ان فوائده متعددة سواء من الناحية الفنية او التعبيرية البحت ، بل وحتى فيما يعود الى آداب السلوك والذوق العام ، فمثلا يستعمل الحرف (P) كناية عن المرأة البغي عندما يستقبح ان يثبت

تمـام الوصف الذي يبتدى به الحرف ، كما يكنى عن دورة الميـاه بالحرفين (w. c) ...

وكثيراً ما يستخدم هذا الاسلوب في العناوين والاسمـاء الطويلة او المشهورة مثل الحرف « K » (لخروشوف) و « F.L.N. » (لجبهـة التحرير الوطني) ، وغير ذلك من الاغراض البلاغية والاقتصادية .

ذلك في الرسم الاجنبي . فاما عندنا نحن وفي العصر الحاضر فلا تزال فكرة الاختصار هذه محصورة قليلة الشيوع ومعتسفة في اكثر الاحيان .

ويرجع ذلك فيما اعتقد الى موقف المستعملين من النقطتين التاليتين :

١ – وجود احرف الزيادة احياناً في اللفظة المراد اختصارها وهي احرف تغير المعنى ، فاذا اجري الاختصار بابقـاء الحرف الاول الاصلي فقط ضاع المعنى المحصـل من احرف الزيادة ، واذا اقتصر عـلى الاول ضاع المعنى الاصـلي . وهذا فضلاً عن انقـلاب الحرف الى آخر كما في « الاتحاد » مثلاً المشتق من « الوحدة » .

والرأي عنـدي ان ما فيه حرف واحد زائـد يكتب هو والحرف الاول الاصلي معاً بدون فاصل بينهما ، وما كان مبدوءاً بألف وصل تهمل ويثبت الحرف بعدها وحده . اما فيما عدا ذلك فترسم اشارة خاصة لكل نوع من امثلة الزيادة المركبة وذلك الى جانب الحرف الاصلي .

ففي مادة « استخرج » مثـلا نثبت اول حرف اصـلي وهو الخاء ، ونثبت معها علامة الزيادة (اءس.ت.) بوضعها مدًّا مثلا فوق الحرف فتصير الصورة المختصرة لها هي (خَ)

وفي (تعاضد) نثبت كذلـك الحرف الاول الاصـلي (ع) ومعه علامة الوزن (تفاعل) ، ولتكن تمثيليـاً – لنفس السبب الذي قادنا الى تعويض علامات الضبط باشكال توجد بالمطبعـة – الشدة : (ّ) ، حتى اذا ما اردنا اختصـار الاسم المركب : (تعاضدية استخراج الفحم الحجري) مثلا ، رسمنـاها هكذا : (عّ . خَ . ف . ح) .

فبعد هذا لا يبقى لنا من عيوب الدقة في بيان المعنى المختصر الا ما تفرضه طبيعة المسألة نفسها ، اي شمـول كل معنى يشترك لفظه في البداية بنفس الحروف ، ومثل هذا لا بد منـه في اي اختصار .

ومعلوم ان لسلوك طريقة الاختصـار هذه شرطـاً اساسياً هو شهرة المعنى في دوائره ، كما انه ليس من الضروري التقيد باثبات حرف واحد من الكلمة[1] او الحرف الاول منها ، اذ ان هناك حروفـاً « أقوى » من غيرهـــا ، اما لقلتها النسبية في عموم الاستعمال ، وإما لقوة مخرجها ، وإما لغير ذلك ، وهناك كلمات جميـع حروفها « ضعيفة » بحيث قد يستحسن اثبات اثنين منها .

ولكن الشرط الاساسي على كل حال للانتفاع بهذه الوسائل ان نقرر ، بعد الاختيار طريقة بعينها من طريقتي (الحرف الاول) او (الحرف الابرز) .. ، فاذا ما فعلنا تحتم التزام المختارة منهما واطراح الاخرى تماماً ، والا انتفت الفائدة وتردد الذهن القارىء بين معنى وآخر .. بين حرف هو رمز لكلمة ، وبين حرفين هما

(١) هذا بالنسبة الى الاحرف الاصلية ، فامـا الزائدة فـلا بد من مراعاة ما اقترحناه بشأنها .

ايضاً رمز لكلمة واحدة قد نظنهما رمزين لاثنتين .

٢ — وقد يكون من اسباب حد انتشار فكرة الاختصار في كتابتنا الحديثة الوهم بأن ذلك طريقة اجنبية عن اساليب الكتابة العربية ، وان هذه لا تكاد تعرف من الاختصار غير « الخ » و « نا » من « حدثنا » في كتب الحديث القديمة . كما ظن بعضهم[٢] .

والصحيح ان العربية كانت على العكس تعرف كثيراً فكرة الاختصار ، لا في الرسم وحده ، بل وفي النطق ايضاً ، فهناك الرمز : « اهـ » في انتهى ، وهناك حرف الاسماء الاعلام في كتب الفقه والاصول من نحو (خ) لخليل و « ن » لسحنون .. ، وكلنا يعرف ان « سامرا » ما هي الا حروف مقطعة لاختصار المدينة العراقية التي بناها الخليفة المعتصم : « سُرَّ مَنْ رأى » .

ليس هذا فحسب بل ان القرآن نفسه قد فعل — على الارجح — ذلك فيما يعرف بمفاتيح السور ، فقد روي عن ابن عباس في « الم » ان معناها انا الله اعلم ، كما روى عنه سعيد بن عبيد في (كهيعص) ان معناها هو (اني الله) : كاف — هاد — يمين — عزيز — صادق .

واذا كانت في هذه الرموز اقوال اخرى ايضاً فان المذهب الذي استشهدت به هو ما رشحه ابو اسحاق الزجاج ، واستدل عليه بادلة قوية . قال : « والدليل على ذلك ان العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التي هو منها . وانشد :

قلت لها قفي ! فقالت : قِ

(٢) احد كتاب مجلة الفكر التونسية المخصص (لحياة اللغة العربية) (فبراير ١٩٦٠) .

فنطق بقاف فقط يريد : أقف ، وانشد ايضاً :

ناديتهم أن ألجموا ألا تا ! قالوا جميعاً كلهم : ألا فا !

يعني : ألا تركبون ؟ قالوا : الا فاركبوا . (باب تفسير الحروف المقطعة ص ١٠ – لسان العرب لابن منظور – نشر دار صادر ودار بيروت) .

فهل بعد ذلك نظل محرومين من الانتفاع باساليب مفيدة وقد سبقنا اليها الاقدمون ؟!

٣

على أسس متكاملة :

ذلك ما كان من امن الرسم والخط والكتابة ، اسهبت فيه نسبياً لاكثر من اعتبار ، ففضلا عن طبيعة الموضوع نفسها يسود بعضَهم شبهُ الاعتقاد بأن اجراء بسيطاً ، كفيل بحل مشكلة الكتابة ، وان الداء انما يتمثل في مادة اللغة نفسها وفي اساليبها واحوالها ..

واذا كنا لا ننوي بهذا ، التهوين من القضايا اللغوية التي تتطلب الحل ، فاننا بالمثل لا نريد ان نتهاون اكثر بقضايا الرسم وقد لمحنا الى خطورتها ومدى تأثير وضعها الحالي على ثقافتنا .

واحسب ان الاعتقاد بثانوية مسائل الرسم انما يعود بالتالي الى الصدور عن فلسفة ليس ذنبهـــا انها قديمـة ولكن ذنبها في تلك التصنيفية والسُّلَّمِيـةِ التي توزع عليها وبمقتضاها ظواهر ، لشيء واحد ، متلازمة ،

فما دامت هذه تقرر ان صورة شيء من الاشياء ليست الا « رداءه » التافه القيمة بالنسبة اليه ، فلماذا اذن لا يسود اصحابنا الاعتقاد بأن قضايا الرسم ثانوية بالنسبة الى القضايا اللغوية .. ، ودون ان نحيل القارىء من جديد على الفصل السابق يمكننا ان نقول جازمين : انه لا اسخف ولا اخرق من مفاضلة كتلك ، فما دامت امور الرسم والخط والكتابة ملازمة لانتشار اللغة فلا ينبغ ان يفهم من التفريق بينهما اكثر من تسهيل البحث لا غير .

هذا وعليّ الا أمل الالحاح على انه لا حلّ مسائل الرسم ولاحل مسائل اللغة بقادر وحده او معا على انتشال وضعيتنا الثقافية ان لم نضف اليهما حلول بقية المشاكل الاخرى من اجتماعية وسياسية واقتصادية .

تلك سنة الحياة تأبى ان تسير على خط مستقيم دونما تعقد والتواء ، وانما هو عمل العقل في التسوية والتبسيط ... مثلما يعمل الطبيب في تدريس اجهزة الجسم واحداً واحداً ليتأتى الى تفهيمه متكاملا متعاونا .

فعلى هذا الاساس – ولست ذاك الطبيب – أواصل الآن المحاولة ، وعلى كل معني ان يواصل محاولاته في الميادين التي يختارها ، موقنين الا موضوع غير قابل للمراجعة ، والا موضوع هو وقف على واحد دون آخر .

وما بقي عليّ هنا يتمثل في قضايا اللغة من غير الرسم ؛ وهي قضايا يمكن ارجاعها الى النحو ، والصرف ، والمعجميات من اصطلاح واشتقاق ، والى الازدواجية بين الفصحى والدارجة ، واختمها ببعض الملاحظات والاستنتاجات ، فلنبدأ باسم الله .

امير البخلاء يتبرع بمؤونته :

وقد تحسبُ ان ذكري الآنف لاسم الله تعالى انما هو من أجل البداية في هذا العمل كيلا يكون ابتر .. ، ربما ولكنه قد عاد بي الى ظروف اخرى يذكر فيها ايضا اسم الله ، اعني الاكل ، وذلك لعلاقة ستتبينها : —

كنت زمن الدراسة — بالزيتونة - اساكن نحو عشرين طالباً ، وكان من بيننا واحد كنا نسميه « مادرا » لبخله وشدة تقتيره ، وكان الى ذلك مشهوراً بالكد والاجتهاد ، فلا تكاد تراه الا مكبا على الكتب والكراريس : غير ان فناً من الفنون التي يعنّي بها نفسه لم يستطع ان يدخل عقله ، انه النحو .

وكان يتعلل لبخله بان الكرم يجلب له كثرة العلاقات ، وانه ليست من علاقة الا ووراءها اضاعة لوقته الثمين ، هذا الوقت الذي يصرف جله في مراجعة النحو عبثاً .

وذات مساء كان (مادرا) يطوف على حجرات زملائه ويناولهم انواعاً من الاطعمة كان يخرجها من سلة مؤونته التي تبعث بها اليه اسرته كل شهر ، وقد وردت لنهارها ، وكان يوزع السجائر ويدعو الى شرب الشاي عنده ، وقد بدت عليه الاريحية والطرب وعلت وجهه البشاشة .

وعجبنا لهذا الكرم يهطل مدراراً ودون سابق انذار ، وعجبنا كيف يوزع مؤونة شهر من ظل يحتفظ شهرا ، بكسرة ورغيف ..

وما طال التعجب ، فقد اخذ صاحبنا ينطّ في فناء الدار كالجدي وهو يردد بأعلى صوته وباعتداد ، تحليل شواهد في (المفعول لأجله) .

وجاء الصباح واذا بصاحبنا يطرق باب احد زملائه .. ، لقد جاء يسأل محل سره وثقته : « ما الفرق بين المفعول لاجله وبين اسم إن » .

وعنـــدما فشا النبأ طمأن بعضهم انهم سيواجهون امتحان التـأهل للثانوي وهم يميزون على الاقل « اسم ان » من ذلك المفعول ، كما اقلق بعضهم ان يكون ذلك ايذانا باسترداد العطايا المهداة ...

هذا واذا نحن صرفنا النظر عن الجانب الطريف في هذه الحادثة — ان كان فيها طرافة — وركزناه في موضع الاستدلال منها ، وجدنا ان وراء المهزلة مأساة يعانيهـا طالب النـحو العربي ؛ وظاهرة لا تنم عن خير ، فانه وان كان من المألوف ان تقع في سائر اللغات « حوادث نحوية » للمبتدئين ... فانه من الغريب ان يفشو اللـحن وعصيان قواعده ازاء طالب مجتهد يستعد لدخول المرحلة الثانوية .. من تعليم مكرس جله للقواعد النحوية ، او ان تردُّدَ هذه القواعد ومناسباتها لا يـكاد يخلو منه كتاب او درس مما يقرأ او يستمع .

وقد تقول ان مثل الطالب الذي ذكرت لا يمثل سوى حالة وان كانت شاذة فانه من الجائز ان توجد لها نظائر حتى في غير القواعد العربية وطلابها ، كما ان الكد لا يساوي بالضرورة الفهم ..

ذلك في الواقع يكون صحيحـاً لو امكنـا حصر امثال ذلك الطالب في عدد قليل ، وان قلة نسبية الا ان العـكس هو الصحيح ، وان كل من عاش مع طلاب النحو العربي لا يستطيع الا ان يعترف بعصيانه دونهم ، وانغلاقهم تجاهه .

واروني — الا من رحم سيبويه — مَنْ من المتعلمين الذين هم في مثل درجة « الاهلية » المشار اليهـا — مَنْ من هـؤلاء يستطيـع ان

يكتب رسالة صحيحة او يتكلم مقدارها ثم ولا يرتكب اللحن المتعدد ولا يلتوي لسانه .

بل ما لي اذهب الى الطلبة وحدهم كأن اكثر اساتذتهم افضل منهم عند « سيبويه » ، فهذا شيخ كبير في علوم العربية قضى عمره الطويل في ممارستها ، بل انه عميد اكبر معهد لها ، يرتكب في فتوى له دينية ذات اسطر معدودة ، اكثر من اللحن . . ؛ ولمن اراد تثبتاً او مزيد اقتناع فليراجع ذلك في عدد من اعداد « الصباح »[1] الصادرة في خلال رمضان او قبيله من العام الميلادي ١٩٦٠ — ولن يطول تفتيشه .

وكثير في المشرق او هنا يحيلون كتابتهم قبل النشر على نحويين فلا يغتر المنقب ، بسلامة القواعد النحوية ، اذ انه يشتم من مخالفة القواعد الاخرى الصرفية والتركيبية رائحة النحاة المنتدبين .

أما في المحاضرات والاحاديث المدعوة فصيحة فانهم يلتجئون غالباً الى « الزاوية » كما يقال ، اي تسكين الاواخر والحال الأوقف .

وقد عرفت شيخاً يستعمل في تدريسه طريقة بارعة حقاً في مراوغة القواعد حتى انه ليصعب على السامع ان يدينه بلحن ، كان يعمد الى استعمال ما يشبه النطق المعزوف بـ « الاشمام » ولكنه لا يشم حركة بأخرى فحسب ، بل وجميع حركات الاعراب الثلاث ببعضها ببعض .

وثمة شيء أود الا يفوتني ذكره هنا ، انه الفرق بين معرفة القاعدة مجردة وبين تطبيقها في السياق ، فكثير هم الذين يستطيعون « اعراب سورة كاملة » مثلا أو تصحيح كتاب .. وهم من معاناة الانشاء الذاتي

---

(١) الصباح جريدة يومية تونسية ، واما المعهد المقصود فهو « الجامع الاعظم » اي جامع الزيتونية ، قبل ان تدمجه وزارة التعليم التونسية وتوحده مع بقية المعاهد .

في راحة وتفرغ ؛ ولكنهم عندما يحاولون ذلك اي الانشاء او التحدث لن يجدوا حظهم بأحسن ممن ينتدبهم للتصحيح .

وبعد فاننا لا نجد لتلخيص جميع الاحوال السابقـــة كلمة أصدق وأخص من قولهم « النحو صنعتنا واللحن عادتنا » ، واذا كان هـذا القول عن اهل الصنعة انفسهم يصدر كما يدل منطوقه ، واذا كانوا لا يستنكفون ولا يجدون غضاضة في الاعتـذار به كلما وقع منهم لحن ، أقول فكيف اذن يكون الامر مع عامة الطلبة وبجل المتعلمين ؟!

واني لذاهب الى ابعد : قد يقال ان هذا مجرد مثل ، وانه من ثم لا يصح ان تستنتج منه حقيقة عامة ، بيد انه — واآسفاه — لَمِنْ تلك الامثال التي هي اكثر تعبيراً عن الحقيقة ، من الاستقراء نفسه ، وانه يكفي في التأكد من ذلك معرفة مدى رواج هذا المثل ، ومدى اشتهاره ...

هذا ونحن في غنى عن المثل ودوننا الشواهـد اليومية في المعاهـد والصحف والكتب والمحاضرات[1] فلن يكون استشهادنا بذلك القول الا من باب تسجيل تطابق بين حقيقة والتعبير عنها ...

لماذا ؟ ؟

لن نحتاج في استجلاء العوامل الكامنة وراء هذه الظاهرة المؤسفـة

(١) كنت استقرىء في هذه الظواهر البيئة التونسية على الخصوص ، اما بالنسبة الى غيرها من البلاد العربية فقـد كنت استند فقط على بعض الزائرين من المحاضرين والمثقفين ومن الشواهد في المكتوبات ؛ وقد اصبحت الآن زائراً لبعض هذه البلاد العربيـة واهمها فلم يزدني ما لاحظته في الموضوع الا تثبتاً مما قررت ، بل ولقد بدا لي ان « خيبة النحو » هذا اكبر منها في تونس .. بكثير .

للاستنجاد بالمنجمين ، وان كانت هذه العوامل مختلفة تداخلا ومتفاوتة التأثير ، وقد يظن بعضهم انه من اهم اسباب عصيان النحو دوننـا ، توجد الناحية البيداكوجية والنظام التعليمي الذي اسس عليه قدماء النحاة قواعدهم وتبويبها وشرحها ، وهي طريقة مبنية على فلسفة علّية ... كما يقول الدكتور انيس فريحه .. ميتافيزيكية ، ومتأثرة بصفة خاصة بعالم المثل الافلاطوني ، على ما يبدو ذلك في كثير من عباراتهم نحو : « والعامل مضمر ، تقديره كذا ، وهذا مرفوع لتجرده من العوامل...»

صحيح ان في هذه الطريقـة بعض التنفير لعقول الناشئة ، وأن استبدالها بأسلوب حديث يربط القاعدة بوظيفة الكلمة في الجملة ، يكون أفيد .. ولكن يجب ان لا نحمل هذه الملاحظـة اكثر مما تحتمل ، ثم ننخرط في حمى من التفـاؤل المستسلم ، فاستقراء التاريخ يثبت ان صبيان عهود العربية القديمة لم يكونوا ليعجزوا دون قواعد النحو ، مثل عجز أترابهم اليو م ، ومثل عجز بعض الكبار ..

وأحسب ان السبب الحقيقي انما يعود الى عاملين اثنين يكمل احدهما الآخر ، فليس هو سوء البيداغوجية ، وليس هو طفو شبح الفلسفـة القديمة وحدهما بالذي أغلق النحو دوننا ، بل — وتزايـد المعارف التي أصبح على طالب اليوم ان يتعلمها وما يتبع تنوعها وكثرتها وضرورتها من تكريس الوقت وتشتيت المجهود ، في حين ان طالب الامس لا يجد او هو لا يكاد يجد أمامه سوى علوم ضئيلة قليلة التنوع ، تولي كلها — او جلها — اهمية خاصة للنحو ، فلا يكاد يغيب عن ذهنه ، حيثما اتجه ، « سيبويه » وامثاله ..

هذا من جهة ،

ومن جهة اخرى نجد ان العامل الثاني يعود الى طبيعة النحو العربي

نفسه ، وهي طبيعة تشبه كما قيل « لعبة الشطرنج » ، اذ ان الاعراب وهو غاية النحو ، متـأخر في الذكر بالنسبة الى تركيب الكلمة من حروفها ، فكأنه عملية ثانية واضافية على الناطق ان يقوم بهـا ؛ في حين ان الذهن انما يتجه اولا الى بداية الكلام لا الى آخره ؛ وسأزيد هذه النقطة تحليلا في الفقرة التالية :

وبعد فقد كان العربي في العصور الذهبية يجد من الظروف الموآتيـة ما لا يشعره بصعوبـة « الاعراب » رغم انهـا صعوبة ذات حقيقـة بسيكولوجية ، فقـد كان النحو سائداً على فنونه التي يتعلمها والكلام السليم به منتشر في بيئته التي يوجد فيهـا ، وكانت دولته سائـدة على بلاد شاسعة تفرض قوتها الحضارية والسياسية قوة لغتها ..؛ فاما اليوم فانه في طليعة الشعوب المتأخرة ، ولغته مع الاسف لا يتكلمها شعبه ؛ ولولا بعض الظواهر وبعض الاسبـاب غير اللغوية لكانت دخلت ذمـة التاريخ ؛ ثم وان عليه بعد وقبل كل اعتبار ان يكرس وقته وجهوده لامورٍ اخرى هو أحوج اليها من « قام زيد » و « أكلوني البراغيث »..

الاعراب ، هذا الخراب ..!

واحدد الآن هـدفي من النحو بالاعراب ، اي تغيير حركات آخر حرف من الكلمة حسب الظروف التعبيرية التي توجد فيها الكلمة .

وللكلام وجهتان ، باعتبـار الناطق ، وباعتبـار السامع . فاما في الاولى فمن البديهي ان اتباع القواعد ومخالفتها عنده سيان في مدي تصوير افكاره ، اي ان رفع المنصوب او نصب المرفوع لا يدخـل حتما على افكاره بالنسبة اليه تغييراً ولا تبديلا ؛ اللهم ان كان الاتباع قـد بلغ عنده من الاستحكام حد العادة الراسخة ، فها هنا يمكن ان يقال ان

مخالفة العادة قـد تلفت ذهنه عن التحكم في السياق فيقع اضطراب في التعبير .. ، غير ان المفروض — وقد بينا صحته — أن القـدرة على تطبيق قواعد النحو لا تصل الى ذاك الاستحكام الا عند القليل النادر .

واما بالنسبة للسامع المعتبر للقواعد فالامرّ مختلف ، اذ ان عـدم اتباعها من محدثه قـد يؤدي به الى فهمٍ غير المقصود ، ظنـاً منه ان المتكلم انما اراد معنى خفيـــاً على « تقدير محذوف » او على بعض التخاريج الاخرى .

فاذا قلت مثلا : « أنت لم تشعلين النار » — باثبات النون — فان السامع ، إن رأى ألا يخطئني ، انصرف ذهنه الى معنى بعيد غير نفي الاشعال عن المرأة التي اخاطبها ، وهذا المعنى قـد يكون على اساس « لم » إسم لمؤنث وليست اداة للنفي والجزم .

ولكن لنفرض انه لا السامع ولا المتكلم ممن يقيم للاعراب وزنـاً ، وانهما انما يقتصران على مراعاة معاني الجملة في جانبها اللغوي — التركيبي فقط ، فهل ان اثبـات النون او حذفها والحالة هذه بالذي يغير من مفهوم الجملة العادي ؟؟

ولأسق مثلا اوضح : « انصرف عليّ » و « انصرف علياً » ، فاذا كنت ملتزم نحو فستفهم من الـــتركيب الاول ان « علي » هو الذي انصرف . واما من التركيب الثاني فستفهم ان الذي انصرف هو شخص آخر لم يذكر صراحة ، وان « علياً » صفة للهيئة التي صـــاحبت انصرافه .

ولكن هبك الآن لا تعرف النحو ولا هذه التخاريج ، فانـك اذن لن تستخلص غير مفهوم واحـد هو وقوع الانصراف ، ووقوعـه من

المسمى « علي » سواء اكانت لفظة علي مرفوعة او غير مرفوعة .

وآية ذلـك انك في الحـالة الاولى مقيد باصطلاح النحويـين فانت « تعامل » الجملة حسب هـذا الاصطلاح ، اما في الحالة الثانيـة فانت لست مقيداً الا بالاصطلاح اللغوي غير النحوي ، اي بدلالة الجمـلة من حيث مفرداتها وتركيبها .

ومعنى ما تقـدم ان الدلالة انما هي في « العـامل » نفسه ، وفي الكيفية التي تربط بها العامل بموضوعه ، امـا الاعراب نفسه فليس الا اثراً للعامل ، أي نتيجة خارجية متأخرة .. ، ولكن بما ان الناطق العربي قد وقع من الاعراب في شبه الالتزام به ، لتلازمه مع العامل ، فقد توسع في طبيعته ، وجعل من الاثر الملازم عيناً ، فأنابه احياناً عن عامل الدلالة نفسه .

واذن فلو اننا طرحنا اعتبارات الاعراب هذه ، واعتمـدنا في فهم المعنى على العامل نفسه ، لما كنّا خسرنا بذلك سوى الاعوام العديـدة التي يقضيها الطالب في معرفة ما يمكن الاستغناء عنه .

ذلك بأنه ما دام العامل مذكوراً فانه يكون حتماً اقوى من نتيجته او اثره الذي يحدثـه ، وعلى بيان معناه هو – معنى العامـل – يقع الاقتصار في تعليم الطلاب ، ولنأخذ ايضاً التمثيل التالي : « لم يذهب التلميـذ من المدرسة الى المنزل » لنجد ان فهم معنى العوامل الثلاثة (لم – من – الى) ليس متوقفاً على فهم جانبها « الاعرابي » ، من حيث ان الاول يحدث الجزم ، والثاني والثالث يحدثان الجر ، وانما هو متوقف على فهم جانبهـا اللغوي التركيبي من حيث ان « لم » تفيـد السلب ، و « من » تفيد ابتداء التحرك ، و « الى » انتهاءه . فاما حركتا الجر في « المدرسة » و « المنزل » ، فاما وقفة السكون في

« يذهب » ، فامر فضلة تماما .

هذا وهناك حالات يلتبس فيها المعنى لولا الاعراب ، وهي الكلمات المفقودة العامل او المتشاركة فيه وذلك كالعنوان الذي اختاره بعضهم لكتاب له « دفاعا عن العربية » فكلمة (دفاعا) بالنصب تفيد غير ما تفيده (دفاع) بالرفع ، معنى هذه الاخيرة ان الكتاب نفسه دفاع عن العربية ، في حين ان المعنى في الاولى انه فقط كتب بنية الدفاع ، مجرد النية ، سواء أتحققت هذه النية بالفعل ام لم تتحقق وحسنا فعل الدكتور كمال الحاج .

غير ان في هذا الالتباس نفسه ، اي الالتباس الناتج عن تغيب العامل او التنازع عليه ، لدليلا اضافياً على ما نذهب اليه ؛ وهو أن الاعراب ناتج وليس بالمنتج ؛ ونظرة عابرة ترينا ان شرط التميز بين المعنيين السابقين (دفاع — دفاعا) ليس هو في الواقع النصب او الرفع ، وانما هو تعيين احد العاملين المحذوف ؛ فلو عرفنا ان العامل في الاول هو : (هذا) ، مثلا ، لما عدنا في حاجة لتوقيف معنى الجملة على ظهور الرفع ؛ وهكذا ...

هذا ، واحسب ان العربية لم تكن في اصلها الاول بالمعربة ، او هي على الاقل لم تكن لتلتزم ، بصورة مطلقة ، الاعراب وقواعده .. ، وان كان دارسو اللغة العبرية — وهي السامية مثلها — يقررون ان هذه كانت بالعكس معربة فأصبحت اليوم مبنية ، الامر الذي قد يوهم — على فرض صحة القياس — ان البناء ظاهرة متأخرة عن الاعراب .

ولست عن لغة « يهوه » أتحدث ، فلتكن ما كانت .. ، فأما بالنسبة الى ما أزعمه للعربية فهناك أكثر من مرجع يفيد — لا يوهم — أسبقية البناء ، أو عدم التزام قواعد الاعراب التزاماً .

فمن حيث البناء نلاحظ أن كثيراً من الكلمات والصيغ القديمة لم تكن معربة بل مبنية ، وهذا كاسم فعل الامر من نحو « نَزَالِ » — « دَرَاكِ » ، وكذلك ما جاء على وزنه من مثل « حَذَامِ » — « قَطَامِ » .

ومن الكلمات القديمة المبنية — هيهات — إنَاهُ — هيت .

أما الاسماء الكثيرة الاستعمال ، بحكم وظيفتها في الكلام ، المقتضية هذه الكثرة والتي تحمل من ثم دليلا على أقدميتها ، فهى كلها مبنية : وهذا كالمفرد من اسماء الموصول مثل الذي — التي — مَن ، واسماء الاشارة : مثل هذا — تلك — هؤلاء ، .. وكذلك جميع الحروف مبنية لاولية وظيفتها في الكلام ، أي لاقدميتها ، ومثالها : من ، على .. الخ .

فأما عدم التزام الاعراب التزاماً ، فلا تقل كثرة وشهرة ، ففي القرآن : « ان هذان لساحران » ، وفي الشعر : « ان أباها وأبا أباها : قد بلغا في المجد غايتاها » ، ومن النثر قولهم : « خرق الثوب المسمار » برفع الاول ، وهو المفعول ، ونصب الثاني ، وهو الفاعل . واذا تذكرنا أنه حتى بين القبائل الفصيحة البي يقلدها النحو « الرسمي » توجد اختلافات في اعتبارات الاعراب ، جزمنا أن تشددنا نحن — وبعد الشواهد التي سقناها — وتمسكنا بمراعاة قواعد الاعراب في كل الاحوال ، ليس الا تزمتاً أو تعصباً للهجة على أخرى ؛ وعلى أية حال فالذي يستنتج من الشواهد السابقة يتمثل على الاقل في ان العرب لا يستنكفون من مخالفة ما نعتبره قواعد .. ، مع ظهور المعنى وانتفاء اللبس ؛ وهو استنتاج وان كان قدماء النحاة وخصوصاً البصريين يحترزون في عواقبه فانه ليس بالغريب عنهم .

وهناك استنتاج ثانٍ لا يقل أهمية ، وهو أن الاعراب – تبعاً للشواهد والاستدلالات الآنفة – لم ينتشر إلا في الحالات التي تلبس لولاه .

وقد عرفنا أنه لا التباس مع وجود العامل . فللسجل اذن دعوة أولى الى اطراح الاعراب كلما وجد العامل .

فأما حالات الالتباس فقد أشرت منها الى اختفاء العامل ، واضيف اليها هنا ، الحالات المخالفة للتركيب الاصلي ، كتقديم ما أصله التأخير والعكس .

والجدير بالذكر أن الالتباس عندما يحصل لا يتردد بين جميع اوجه الاعراب الثلاثة ، بل بين اثنين فقط .

فاذا قلت : « ضرب زيداً علياً » بنصبهم معاً أو برفعهما .. الخ ، لم تحتج لغير معرفة أيهما المنصوب ، وأيهما هو المرفوع ، أي تمييز الفاعل من المفعول أو العكس . فأما الجر فلا يرد هنا ، لخلو الجملة من عوامله .

ولكن قد يعترض معترض بأن هذا الالتباس وان انحصر نطاقه في هذا المثال بين وجهين فقط ، فان هذين الوجهين قد لا يكونان دائماً الرفع مع النصب ، بل قد يكونان ايضاً الرفع مع النصب ، بل قد يكونان ايضاً الرفع مع الجر ، أو النصب معه – أي الجر – ، فمواطن الالتباس – على هذا الوهم - جميع حركات الاعراب كلها .

والواقع أن حالات الجر لا توجد الا مقرونة بالعامل ، أو لا توجد الا في قالب مضبوط كالتوابع والاضافة ؛ ومعنى ذلك أنها لا تَرِد الا في تركيب هو الذي ينتج الجر ، ومن ثم فانه يغني عن اظهاره فيستقل

بنفسه لافادة المعنى المقصود ، وهو نفس المعنى المستفاد في حالة اظهار حركة الجر .

وأما الرفع فهو الحالة الاصلية – في النظام النحوي – للاسم والفعل كليهما – وآية ذلك أنهما يأتيان عليه كلما تجردا من العوامل ..

والسكون ، اذا نحن أدخلناه في هذا الباب – الالباس – نجده هو الآخر اصلا للاسم والفعل كذلك . ولكنه أصل قديم سابق على « النظام » النحوي كما تقدم .

فأما النصب فهو بالفعل الذي تتنازع عليه مداليل شتى فتلتبس فيه المقاصد ويتردد في الذهن ؛ فلو أتيح لنا أن نعرف مدلول اللفظة الفلانية ليس من المداليل التي تأتي ألفاظها في قواعد الاعراب منصوبة – اذن لأتيح لنا الجزم بأن مدلولها ليس إلا في المرفوعات وحدها ؛ وذلك لانتفاء حالات الجر والسكون[1] .

وبناء عليه فان الوجه الوحيد الذي قد يتوقف عليه المعنى انما هو النصب ، او قل ان اهمية الاعراب كله انما تنحصر في النصب .

وللنصب ابواب ، فهل كلها تتوقف على اظهاره ؟

ان استقراء أوليا اجريته في المنصوبات قد أظهر لي ان بعضها فقط

---

(١) الواقع ان اوجه الاعراب في الفعل لا يكاد يكون لها من فائدة الا مع اختفاء العامل ، لان هذه الاوجه كما هو معلوم هي النصب والجزم والرفع ، ففي الاولين يكون العامل مذكوراً مباشرة فلا حاجة لاظهار الحركة ، فأما اذا كان مذكوراً بواسطة العطف مثلاً فلا بد من اظهاره للتفريق احياناً بين حالات السلب والاثبات وغيرها ، فاما عند التجرد من العوامل فالرفع معلوم لتعينه . وما اقترحه بخصوص الفعل : بناؤه على السكون دائماً ، وتكرار العامل كلما دعت الحاجة . فاما بالنسبة الى الاسم فسيأتي الاقتراح بعد التفصيل .

يتوقف معناه على اظهار الحركة :

فالمفعول به يوجد دائماً في جملة مذكورة الفعل والفاعل .

والحال تحمل دائماً معنى تفسير الهيئة ، ويندرج تحتها خبر كان واخواتها ..

والتمييز تفسير وتعيين لمتعلق فعلٍ كان يحتمل غيره لولاه .

ففي الباب الاول نجد العامل مستقلا في صورة الفعل والفاعل .

وفي البابين الاخيرين يوجد كذلك العامل إما مرتبطاً بين الفعل والمتعلق كما في التمييز ، وإما في نفس المعنى الذي يفهم من المتعلق كبيان هيئة الفاعل ، وهو الحال .

ولكن الحال قد تأتي احياناً مخالفة لشرط الاشتقاقية : كقول الشاعر :

بدت قمراً وبانت خود بانٍ وفاحت عنبراً ورنت غزالا

ففي مثل هذه الحالة نجد حركة النصب هنا تقوم بوظيفة اساسية هي رفع الالتباس الناشىء عن جمود الحال ، وذلك لانك لو قلت : بدت « قمر » بالسكون مثلاً لاحتمل ان يفهم السامع ان (قمر) فاعل — وذلك لمشاركة مثل هذه الحال الجامدة في جميع صلاحيات الفاعل لولا الاعراب ..

« والمفعول لاجله » بسبب من التعاريف المحكمة التي عرفه بها النحاة ، فيما عرفوا ، لا يتوقف معناه على ظهور الاعراب فيه ، اللهم الا ان القي به وحيداً محذوف العامل ، كعنوان الدكتور الحاج : « دفاعاً عن العربية » الذي سبق ان اشرت اليه . ومرجع الالباس هنا يعود في الواقع الى كون فعله لم يذكر فاصبح لولا الاعراب صالحاً لان

يكون اسماً ... « مبتدأ » .

والخلاصة ان هذا الاحصاء يتيح لنا التقدم بدعوة ثانية – بعد تلك الخاصة بالمجرورات وما ذكر فيه العـامل – الدعوة الى اطراح الاعراب في المنصوبات كلها ، ما عـدا الحال الجامدة والمفعول لاجله المحـذوف العامل .

هذا وقد بقيت حالة ثالثة يقوم فيها الاعراب بوظيفة التعيين ، وهي بعض المنصوبات مع بعض المرفوعات ، عندما يقع فيها تقديم ما اصله التأخير او العكس . وهـذا كتقديم المفعول به على الفاعل وخبر كان (المفرد) على اسمها .

فلو اطرحت الاعراب في الاول وقلت : (ضرب علي محمد) ، لغرض بلاغي ، تقصد ان الاول هو المضروب لالتبس على السامع .

وكذلك اذا قلت في الثـاني « كان واجباً علي حبك » ولم تظهر الاعراب ، فان الغرض البلاغي يَفُوت .

وعلى هذا نصير الى الدعوة الاخيرة : اطراح الاعراب في المرفوعات على حدة ، او في المرفوعات مع المنصوبات - الا اذا عكس في هذه الحالة الاخيرة ، الاصل .

*

تبين لنا انه ليس من اهمية للاعراب الا في الحالات القليلة الآنفـة البيان ، ورأينا من قبل ان ليس له اصالة في العربية – قبل النحاة – الا بقدر ما يفيد في توضيح ، بل في تعيين المقصود ؛ والسؤال الطبيعي الآن هو : أي الحالات نلتزمها فيما عدا الابواب التي يتعين فيها بيان النصب ؟ هل نلتزم حركة اخرى بعينها ؟ او نكون مختارين في الاتيان

بالجر او الرفع ؟ ام نلتزم السكون ؟؟

والجواب الطبيعي ايضاً هو بكل بساطة التزام السكون ؛ اولا لكونه الاصل ، وثانياً لكونه الحالة الوحيدة التي يلتزمها سائر شعبنا الناطق بالدارجة ، وثالثاً لامكانية استغلال حركتي الجر والضم في بعض المعاني والاصطلاحات ، بحيث يكون مدلول اللفظة المكسورة الآخر غير مدلولها في حالة السكون والضم أي انها تصبح حركة ذات إفادة لغوية وليست ذات افادة اعرابية .. مما يمكن بسطه بتفصيل عند الحاجة .

فاما التدرج الذي سلكته في بيان المسائل التي يفيد فيها الاعراب والتي لا يفيد ، فقصدي منه – فضلا عن طبيعة الموضوع – ان اتيح للقارىء الاشتراك في معاينة الضخامة الجوفاء والتقدير « التابوّي » الذي غرس فينا تجاه النحو ، ولا سيما الاعراب ؛ فبعد سنوات طويلة ومجهوداب مضنية يقضيها الطالب في تعلمه ، يتوصل – ان كان من الموفقين – الى ان « حكم » « المبتدأ » « الرفع » ! ... طيب ، واذا لم نرفع هذا المبتدأ بل سكناه مثلا ، هل فسد المعنى ؟ هل خسفت بنا الارض ؟

وهل من خرق وحماقة ، بل هل من جنون افظع من قضاء زهرة العمر في سبيل تعلم لا شيء ، في سبيل حذق حماقة ... ، في حين ان كل لحظة في حساب العصر الا وهي جديرة بأن تفصل بيننا وبين الحياة ، بيننا وبين العلم الذي يجب ان نكرس له الليل والنهار ، عسى ألا نكون من التأخر في المؤخرة والذيل .

ويزيد الجنون فظاعة ان هذا الاعراب الاخرق ، هذا الخراب الفكري والنفسي ليس الا ظاهرة متأخرة عن العربية « الاولى » التي

يحرصون على تقليدها والاقتداء « بصفائها » ... وانه حتى لغة قريش والقرآن قد ظل فيهما ما يثبت اصالة البناء او مخالفة الاعراب .. مع العلم ان لغة قريش ليست سوى لهجة من بين لهجات ، وانه ليس في الاسباب الدينية — بالنسبة لمن يتقيد بها ما يمنع اطلاق الاعتبار بتلك اللهجات .

ومن أسف أن سلامة الطوية قد أدت بشخصية في مقام الاستاذ « يوسف السودا » الى تكريس مجهود « خمسين سنة » قصد ادخال اصلاحات في تحسين الاساليب التي يُدْرَس بها .. النحو ؛ في حين أن الاعراب وهو غاية النحو ليس إلا ثمرة من الشمع .. للتحفة أو .. للعبث ..

*

لكل أولئك الاسباب مجتمعة ومنفردة ، واداء لبعض الواجب الذي يشعر به عربي تجاه أمته ومستقبل لغته وثقافته أرفع الى أولي الأمر من جميع المسئولين ، العرب ، الدعوة الى العمل لاعفاء مواطنيهم من ذلك العبث الذي لا طائل تحته ، حتى يتاح تسليط طاقتهم على ما ينفع ويفيد ، بل على شرط البقاء والحياة ، وحتى يزال أكبر حاجز بين لغة الكتابة ولغة الحديث ، فتتقارب العقول وتخصب الثقافة .

وهكذا سوف لن نصبح في حاجة لا لكتب النحو القديمة ولا للحديثة ، ولا لصرف الوقت والفكر في الترهات ، وانما سنحتاج فقط الى صفحة أو صفحتين تشرح القاعدة التي نجمل أجزاءها السابقة فيما يلي :

« ينصب الحال والمفعول لاجله مطلقاً — والاطلاق للاحتياط وطرد الباب على وتيرة واحدة — وينصب المفعول به اذا قدم ؛ ويسود

السكون في الباقي »

والصرف !!

على ما رأيت من عبثية الاعراب ، وعظم الطاقة المهدورة فيه سدى ، فانه يكون مدعاة للغبطة لو أنه كان العبء الاول الذي ترزح تحته العربية .

والواقع انه ربما تعين لدينا ان ننقد اهل الصناعة القدامى ، ونؤاخذهم على المنهج الذي استخدموه في تمييزهم بين النحو وبين فن كالصرف ، متأثرين نحن الآخرين – ولكن في اتجاه معاكس – بالنظريات الحديثة المنادية بتكاملية ما مجال له وغايته متحدان ، كما كانوا هم ، القدماء ، يصدرون عن نظريات تجزيئية مفككة .

وفيما عدا ذلك ، اي اختلاف المنهجية – فان الاخذ بتمييزهم بين النحو والصرف ، لا يمضي هنا دونما فائدة في تتبع الصعوبات ، ومن ثمة في اقتراح الحلول .

ولعل الصعوبات الصرفية تتجلى اولا في المقارنة بين ظاهرة الصرف وبين ظاهرة الاعراب ، فانهما وان كانتا تشتركان كلتاهما في تغير الحركات من حيث هي مطلق حركات ، فان الأولى تتميز بتغير الحروف نفسها ، ومعنى ذلك انها صعوبة مزدوجة ومتنوعة ؛ هذا اولا . .

فاما ثانيا فنفس تلك « الشطرنجية » التي اخذنا بها النحو القائم ، اي اضطرار الناطق – الملتزم – الى مراعاة التغيرات الحرفية والحركية بين كل صيغة واخرى ؛ فكأنه قد حكم عليه الا ينطق حتى يستشير القواعد .

واذا كان لكل لغة قواعدها ، فان ما يعود منها الى الصرف العربي ليصدمنا بكثرته ومتنوعاته ، وذلك فضلا عما اخذنا به في هذا البحث من ضرورة تشخيص العيب بصرف النظر عن وجود نظير له في لغة اخرى اولا .

هذا واذا كان الاعراب رغم عبثيته يجري حسب قواعد لا تتخلف ـ كما نتعلمه في الناحية التطبيقية ـ فانه لما يزيد عيوب الصرف ضخامة ان قسما منه كبيراً يمتاز بالتنطع والشذوذ عن كل قاعدة ونظام ... ، كما ان قسما منه كبيراً كذلك وان وجدت له قواعد ، الا انها من الكثرة بحيث تضيع فائدتها العملية .

ولعل اشهر الصعوبات في هذا الصدد هي تلك الراجعة الى الفعل الثلاثي وصيغة ابوابه .

فانه وان كان لـ « دحرج » و « استخرج » مثلا صيغ معينة يأتي عليها المصدر وبقية التصاريف ،فان قواعد جلّ الثلاثي هي على العكس غير شاملة ، فضلا عن كونها لا تعدو التقريب ..

فهذه مثلا عين الفعل ـ السالم ـ لا تلزم حركة واحدة في جميع تصاريف الازمنة ، بل هي تارة مكسورة واخرى منصوبة واخرى مرفوعة ؛ ومتى تكون على هذه الحركة او تلك ؟ ـ لا ضابط غير « السماع » ! ومعنى ذلك ان طالب العربية ملزم لا بحفظ المادة اللغوية وحسب ، بل وايضا بحفظ تغيرات الحرف الاوسط منها ! !

وقد يقال ان لجميع اللغات ظاهرة من التخالف بين فعل وآخر يوجدان في صيغة نوعية واحدة ، كما هو الشأن مثلا بين Laver و Lever

وهي افعال من « مجموعة » واحدة واقرب ما تكون الى الثلاثي

عندنا وقد اختلفت فيها الحركات من A الى I .

وبغض النظر عن كون هذا الاعتراض لا يلزمنا لما اعلنا من سبب تمسكنا بذلك المبدأ الثاني — فان المقارنة غير صحيحة ، لكونها تغفل فارقاً اساسياً .

ذلك بان الفعل الثلاثي المعني وان تغيرت بالفعل عينه من صيغة زمن الى اخرى فان « فاءه » و « لامه » بالعكس لم تتغيرا فهما دائماً مفتوحتان من « عين » متغيرة متقلبة ، وهذا بالضبط سبب الصعوبة ، اي ان اللفظة تجري من جهة على وتيرة واحدة ومن الجهة الاخرى لا تخضع لوتيرة ... فينصرف الذهن ويتشتت بين « الفوضوية » و « النظامية » في حين ان التزام فوضوية مطلقة هو اسهل من التردد بينهما ، وبعبارة اخرى فان العربية بسبب من ان لكلماتها اوزاناً معينة مدعاة للتشابه فيما بينها تشابهاً حركيا ، والتشابه مثيل للتردد والإشباه .

فاما الفرنسية مثلا فليس للوزن فيها اعتبار من هذه الناحية فتقل عوامل الإشباه على قدر توافرها عندنا ، وليس معنى هذا بالطبع انه لا يمكن ادراج بعض الافعال الفرنسية تحت بعض الاوزان .. وان لمجرد التسلية ، ولكن معناه ان كسر (عين) « خرج » مثلا لا يؤدي في صرفنا التقليدي الى معنى يغاير ما يستفاد من نطقها بالفتح على الاصل — اي السماع ؛ هذا في حين ان ابدال ال A بالإل I مثلا من مادتين متشابهتي الصورة ليحول المعنى تحويلا جذريا ، ...

وهذا فارق هام يغفله المقارنون بين صعوبة حفظ الفعل الثلاثي العربي وبين فعل فرنسي مشابه .

هذا ، وليس تغير حركات العين مقصوراً على الماضي ، بل ليتجاوزه

الى المضارع ، واذا كنا هنا نجد بعض القواعد الضابطة كمجيء العين مفتوحة في حالة وجودها مكسورة في الماضي (علم يعلم) ، فان هذه القواعد كما اشرت من قبل ، غير شاملة ... ؛ ثم ولسنا تعرف ضابطاً ينبئنا ان هذه الكلمة من الصنف القياسي ، وان تلك من الصنف السماعي ، حتى نجري القياس هنا ونحترز هناك فقط ، وهذا في الواقع يدلنا على حقيقة جد فاجعة ، وهي ان الكلمات القياسية نفسها تتطلب اولا وقبل كل شيء الحفظ والسماع !

يمكن اذن ان ننظر الى هذه القواعد كما لو كانت معدومة اصلا ، وان نتعامل معها كما نتعامل مع شخص خاننا مرارا فانتزعت ثقتنا منه ولم نعد نستطيع الركون اليه مرة واحدة .

هذا كله ، ولم نذكر تنطعات الاوزان التي يأتي عليها مصدر الثلاثي كما لم نذكر في فعله حالات « المهموز » و « الاجوف » و « المعتل » و « المضاعف » وتراكب هذه الحالات بعضها مع بعض ... مما ناءت به حتى كتب القدماء المتفرغين .

اما اذا نحن بحثنا عما عسى ان يكون من سبب في كثير من هذه الحالات غير الاطرادية ، وخصوصاً تقلبات العين وتعدد أوزان المصدر للفعل الواحد ، فانه يمكن فيما ارى تفسيرها بانها كانت في الاصل تابعة لتغيرات في الدلالة تجوهلت شيئاً فشيئاً ، لدقتها اولا ولفشولسان « المولدين » ثانيا ، ثم جاء اللغويون فجاروا الواقع القائم ودونوا تلك المصادر وتقلبات العين على انها من بابِ الوضع اللغوي الاصيل الذي لا يخضع للعقل اي لتغير المعنى تبعا للمبنى .

وحسب هذا الافتراض فان كل بناء في الفعل : اي كل حالة من حالات عينه ، الا ولها في الاصل دلالة معينة ، وانه من ثمة ليمكن —

عودة الى الأصل نقل العين من حركة الى اخرى تبعا للمعنى المراد .

فاذا اريد مطلق حصول الفعل في الماضي جيء به على بنية (ضرب) مثلا ، فأما اذا أريد اضافة معنى آخر – الماضي القريب مثلا – قيل (ضرب) بكسر الراء وهكذا ، فيجيء المضارع وبقية التصاريف وفقا له ، إما على نفس الحركة ، وإما على حركة اخرى معينة . والى هذه الفكرة نفسها يذهب العلامة عبد الله العلائلي في كتابة : « مقدمة لدرس لغة العرب » وفي « معجمه » المعروف باسمه ، فقد أثبت ان تلك التغيرات [1] لا تجري – كما زعم اللغويون القدماء – اعتباطا – وانما تجري تبعا للدلالة المقصودة . ويؤيد هذه الفكرة اعتبارات عامة واخرى خاصة . –

قأولا : « المنطقية » العامة التي تسود اللغة العربية في جميع ابوابها التركيبية والبلاغية والنحوية ، وقد لاحظنا بخصوص الاعراب كيف انه خاضع للحاجة ويتحكم فية قانون الاقتصاد وان اعتوره المتأخرون .

يضاف الى هذا بعض الملاحظات الاستقرائية السائرة مسار الامثال عند اللغويين – وان لم ينتفعوا بها انتفاعا كليا – كقولهم : « زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى » .

ثانيا : واما المستندات الخاصة فهي ما يقرره أيضا المستقرئون من أن الفتح أخف الحركات ، وان اللغة مبنية على الخفة ، أي من حيث

---

(١) البينات التي اوردتها هي على سبيل التمثيل فقط ، اما الاستاذ العلائلي فقد بين متى يجب ان تكون العين بهذه الحركة او تلك ، وعذري اني لم استطع الحصول على الكتابين لاقرأهما من جديد واثبت الحالات الحقيقة فخشيت ان يكون في الاعتمادعلى قراءتي القديمة خطأ النسيان وطول المدة . فالرجاء من القارىء الكريم ان يعود اليها ، على أني سأسارع فاذكر بعض الاسس والمستندات التي تدعم الفكرة في مبدئها ، اي من حيث ان تغير المبنى يتبع تغير المعنى .

المبدأ ، فلا « تثقل » الا بقدر ما يتعلق ذلك بتحصيل معنى ثان ؛ واذن فان الفتحة هي الاصل في عين الماضي ، اذا كان ابتدائيـــاً او بسيطاً ، أعني اذا كان المقصود هو مجرد التعبير عن حصول الفعـل في الماضي بصرف النظر عن كونه ماضياً بعيداً او قريباً ، مثلا .

اما بخصوص المضموم من عين الماضي فيلاحظ ان الصيغة منه تدل – فضلا عن حصول الفعـل – على معنى زائد هو غالبـاً معنى نفسي ؛ ومثاله : (عظم) و (رؤس) : ويظهر الفرق في مادة ك (قدم) حيث ترد عينها مضمومة فتـدل عـلى المعنى النفسي (القدم) وغـير مضمومة فتدل على معنى « مادي » هو « القدوم » والوصول بعـد السير والتحرك .

وما دام هذا الشأن ، وما دمنا نهدف الى تسهيل هذه اللغة العزيزة تسهيلا جدياً يتماشى مع حقائها اللغوية فلن يثنينا اذن عن الحـل ان يكون قدماء اللغويين قد جهلوا او تجاهلوا هذه الحقائق .

وهذا الحل يتمثل – كما يوحي به الاستعراض الآنف – في احـدى اثنتين .

فأما ان نطرد جميـع أبواب الثلاثي على بنية واحدة ، كأن تكون مثل (ضرب) ، فنصبح تنطق « علم » و « عظم » كلهـا بالفتح ، ونلزم عينها في المضارع حركة بعينها لا تتغير كذلك ، وفي هذه الحالة نختار لها ايضاً من المصادر وزناً ثابتا كالضرب مثلا ، فنصبح نقول كلما اردنا الدلالة على الحدث او الصفة مجردة من الزمن : « الظلم » بفتـح فسكون ، « العظم » و « الفرح » كذلك ، وسوف لن تخسف الارض حتى في هذه الحالة ...

أما اذا جاءت بعض الكلمات من وزن هذا المصدر الجديد على نفس بنية بعض الكلمات (الكلاسيكية) كالخرج والدخل بمعناهما المالى ، مع الدخل والخرج بمعنى الدخـول والخروج ، فأنها تحولان الى وزن آخر يقع تعيينه ، ويكون بمثابة « المخزن » العام لامثالهما ..

وبهذه الطريقة نستغني عن علامات الضبط حسبما اشرت في القسم الخاص بالرسم ، فيعرف الطالب انه كلما وَجَدَ مصـــدراً من هذا الثلاثي الا وعرف انه مفتوح الفاء ساكن العين .

فأما اذا لم نرتح لهذا الاطراد ، وخشينـا ان يجرنا الى عواقب من تداخل الكلمات ، بل اذا لم نجد الشجاعة الكافية على تقبله .. ؛ أمكن اذن ان نلتجيء الى الحالة الاخرى وهي اخضاع حركة العين الى المعنى وضبط اوزان معينة للمصادر ، وذاك اضعف الايمان ، وايسر الاصلاح .

فأما أن نترك هذة التنطعات والعبثيات وجـداول التصاريف ، التي ليس لها من المعنى المستعمل ما يبررها ، أما ان نـترك هـذه الحالات بدون تنظيم وتقعيد ، او بتقعيد مبني اساسا على عـدم القاعدة ، فلن نَجْني غير الصدوف عن العربية الفصحى او الصدوف عن كل علم نافـع .. في سبيل اتقان ألوف القواعد التي لم يمل اكثرها سوى جهل اللغويين ..

*

هذا واذا كان ما علمت رأينا في حـل مشـاكل عين الفعـل الثلاثي وأوزان مصدره ، هذه المشاكل التي تعد من أبرز واشهر ، بل ولعلهـا من امنع واخطر الصعوبات الصرفية ، لتغلغلها وكثرة انتشارها وتعقدها، اقول اذا كان ذلك هو الشأن فيها ، فلا شـك اننـا ندعو الى تطبيق نفس الروح والمنهج فيما بقي من المشاكل .

وبجمل هذه الروح أو المنهج يتمثل في « تعقيل » « كل » « هوى » يكلفنا اتباعه مجهوداً مخالفاً للقانون الاقتصادي العام ، ان في الفكر وان في الوقت او في سائر التكاليف على ما تقدم سابقاً .

فمثلا يجب ان نتحرر من القيود التي وضعها « البصريون » في صياغة النسبة من « فُعَيْل » و « فَعِيل » ومؤنثها ، اذ زعموا ان الياء تحذف دائماً فيهـا ، فتقول على زعمهم في النسبة الى طبيعة : طبعى فقط ، وفي قمير قمرى ...

ويظهر لك خطل هذا الزعم في الالتباس الذي يحصل لو أنا تقيدنا بمقتضياته فنتردد في يمني مثلا هل هي نسبة الى اليمن او الى اليمين وكذا في قمرى ... لأن عامـل التمييز مفقود وليس من ضابط ، في حين ان إجراء الصيغة على اثبات الياء واقٍ من اللبس .

والواقع كما يثبت « الكوفيون » ان العربية — وهي اللغة المنطقية — لا تجري ذلك الحذف الا بعد توفر شرط هام جداً : وهو ان يشتهر الاسم المنسوب اليه شهرة تعصم [1] انصراف الذهن الى غيره ، والا فلا.

وفي باب آخر من ابواب النسبة يوجد مثل هذا الخلاف ، واعني النسبة الى الجمع ، فقال البصريون بمنعها واجازها الكوفيون . والواقع ان المعنى المقصود من الجمع لا يحصل بالاقتصار على المفرد حتى ولو كان يعني الجنس ، لان بين الجنس ومجموعة من « افراده » تبايناً وعدم مساوات ، ويصبح هذا متضحاً اكثر في مثل عصر كعصرنا تكثر فيه الحاجة الى التعابير الجمعية نتيجة تزايد المؤسسات الجماعية والمؤسسات التي تشمل اجناسا عديـدة ، وهذا كما في « الامي » و « الدولي » فـلو نسبتها الى مفردهمـا لتغير

---

(١) لا شك ان هذه العصمة مقيدة « بمنطقة لغوية » معينة وليست بالنسبة الى جميـع العرب ، وهذا يخول لنا ان نقول بالغاء التفصيل اطلاقاً والزام الاصـل بـدون حذف ، وذلك نظراً لفقدان هذه العصمة بالنسبة لنا اليوم ...

المقصود تماماً .

والحق ان العربية قد عرفت بالفعل هذه النسبة واساغتها حتى في عهد « نقاوتها » فقالوا « الانصاري » و « الشعوبي » ونحوهما .

ومما يدخل تحت ضرورة التعديل مسألة جموع التكسير ومسألة العدد ، ففي هذه يجب ان نقلع عن كل عكس في تأنيث المذكر وتذكير المؤنث وان نطرد العدد على وتيرة واحدة فيؤنث مع المؤنث ويذكر مع المذكر في جميع الحالات

واما قضية جموع التكسير فقضية بالغة الخطورة لكثرة اوزانها السماعية وتنوعها ، فليس من السهل حلها باليسر الذي تحل به قضية العدد . . . غير ان ذلك ليس بالمتعذر اذا نحن تحررنا من الوثنية اللغوية وما خلقته فينا من خشية وتردد .

ومن باب التمثيل فقط — ولكن المشبع بروح التحدي لتلك الوثنية — اعرض امكانية طرد جميع صيغ جموع التكسير على وزنين او ثلاثة . . فتقول في احدها : أكْلُب — أقْلُم - أشْمُس ، لجمع الكلب والقلم والشمس جمع قلة او كثرة ... فهذا ليس المهم ؛ وسوف لن نعدم من اسلوب الالحاق والتشبيه مستندات لا تقل قيمة عن المستندات التي لا يقتنع بغيرها بعض من عسى ان يطالب بها . .

*

هذا وليس قليلا ما بقي من المسائل الصرفية المحتاجة للمراجعة والتعديل ، ولكن فيما ذكرت من المبادىء والروح التي نوهت بها ، وفيما بسطت من الامثلة — ما يكفي لاعطاء النموذج الذي ارى ان

يقتدى به في المراجعة والتعديل .

بيد انني سأتناول ايضا في الفقرة التالية امثلة اخرى من المشاكل الصرفية ذات الصبغة « المعجمية » هذه المعجمية التي من اجلها اعقد الفقرة التالية :

كفكفوا هذا التزيف !!

رأى القارىء ان اكثر الصعوبات التي تحدثت عنها في الفقرة السابقة ترتكز على كثرة القواعد وتعقدها وعبثيتها حينا وعلى فقدان القاعدة اطلاقا او توقفها هي نفسها على السماع ، حينا آخر ..

واما هنا فاني احبّ ان اتحدث عن العيوب المعجمية اي عيوب المعنى والدلالة بصرف النظر عن عيوب المبنى وقواعده .. ، ذلك ما كنت انويه ، ولكن سرعان ما بان لي ان لِفصل الصورة عن المضمون — وهو الفصل التكتيكي البحت — حدوداً ليس من الممكن تجاوزها ، وان لمجرد البسط والتحليل .

ولا يعود ذلك لمجرد ايماننا بالمنهج التكاملي وحسب — هذا المنهج الذي حاولت ان يسود البحث ويؤطره — بل وايضا الى ازدواجية المهمة التي حاولت النهوض بها ، اعني تشخيص العيب مع وصف العلاج ؛ وكثيراً ما يتوقف شفاء المريض نفسيا على علاج جسمي ..

ويخطر ببالي هنا في طليعة ما يخطر من القضايا التي للتغيرات الصرفية فيها قيمة دلالية . تلك القضية العائدة الى ما يعرف بـ « المصدر الصناعي » وهو الكلمة المختومة بـ « يّة » للدلالة على معنى تجريدي كـ «الانسانية» و « الشخصية » .

ومرد العيب هنا الى ان بنية هذ المصدر مماثلة لنفس البنية التي تأتي عليها النسبة المؤنثة ، فلا يدري اذن هل المقصود التجريد او الوصف .

وفي بعض اللغات الحديثة تميز صيغة المصدر الصناعي بـ (ism) ، وصيغة النسبة بـ (iste) كقولهم (réalisme) لإفادة معنى المذهب الواقعي و (réaliste) لإفادة معنى التابعة له والمتمذهبة به . فينتفي كل لبس بين المدلولين .

غير ان العربية او بعبارة أدق العربية المستعملة لا تستطيع ان تقول سوى « الواقعية » للدلالة على المذهب وعلى المنتمية اليه سواء .

والواقع ان الاصل في المصدر الصناعي ليس سوى النسبة المؤنثة حذف الموصوف بها وظلت هي قائمة للنيابة عنه او لتركيز معنى التجريد، فالواقعية تعني كلمة اخرى قبلها هي مثلا النظرية او المذاهب .

واما الصيغة الاخرى او المعنى الآخر الذي يدل عليه بـ (iste) فليس ايضاً غير النسبة ، بيد انها نسبة مركبة لا بسيطة ، فمعنى (Humaniste) — في حالة التأنيث — ان فلانة « منسوبة » الى النظرية « المنسوبة » بدورها الى « الانسان » .

وللنسبة المركبة (iste) اسلوب يمكن ان تجري عليه : اضافة واو مكسورة قبل الا « ية » في حالة التأنيث ، وقبل « الاي » في حالة التذكير .

وعلى هذا تقول في اشتقاق معنى المتمذهب بها : « انسانوي » او « انسانوية » وكذا يقال في « امبراطورية » : امبراطوري وامبراطورية

هذا وهناك في العربية كثير من الالفاظ التي هي على بنية المصدر

الصناعي او النسبة المؤنثة كانت في الاصـل تفيد معنى احدهما ولكنهـا اصبحت ككلمة مرتجلة بعد ان تنوسي اصلها .

وهذا كلفظة « الانسانية » نفسها حين لا يكون المقصود بها المباديء السامية والعواطف الخيرية لمجموع البشر بـل حين يكون المقصود بهـا العائلة البشرية جمعاء ، بما فيها من خير وشر وبصرف النظر عن اتصافها بهما . اي حين يكون معنـاها مماثلا للفظة « الناس » ، وعن المقصـد الاول يعبر بـ الا (Humanism) على نحو ما تقـدم ، اما المقصـد الثاني فيعبر عنه بـ الا (Humanité .

هذا في غير العربية ، فاما فيها فتستعمل نفس الصيغة للمعنيين جميعا، ولذلـك لا نستطيـع ان نفرق بين « الانسانية » التي هي مـذهب و « الانسانية » التي هي مجرد اسم لمسمى الناس .

وتظهر هذه الصعوبـة في لفظة كـ « الشخصية » فهي وان كانت في الاصل مصدراً صناعيا يقصد به التجريد او وصف مميزات شخص مـن الاشخاص ، الا انها اصبحت مستقلة عنهما وتدل على مسمى مستجد هو جماع الصفات والسلوكية والمظهرية .. ولكل شخص من الناس .

ومعنى ذلك اننا لو اجرينا التجريد من هذه الكلمة باضافـة الواو قبل الا (ّية) فقلنا (الشخصوية) لما وصلنـا الى المراد الذي يعبر عنه بـ Personnalisme) ولكننا نصـل الى شيء آخر غير التجريـد هو النسبة اي الـ (Personnalité) .

ولحـلّ هـذه المشكلة نبتديء فنلاحظ ان الكلمـات التي هي مـن هذا النوع [1] اي الكلمات التي جاءت على بنية المصدر الصناعي ونسي

(١) وهي المختومة في الفرنسية بـ (té) كما في المثالين : (Personnalité - Humanité)

موصوفها ثم اصبحت مستقلة بذاتها ، ثم من بعد أريد اشتقاقها لافادة معنى تجريدي جديد – نلاحظ ان هذا النـوع من الكلمات ليس الا (التجريد المركب) كما كان الشأن في النسبة المركبة ؛ ومعنى ذلك بعبارة اخرى ان مدلول « البارسوناليرم » مثلا يؤديه ، تمام الاداء ، المصدر الصناعي من اللفظة « الشخصية » منظوراً فيها الى « الشخص » و (ية) ككلمة واحدة اصلا ؛ فاذا طبقنا عليها قاعدة الاشتقاق تلك المتعلقة بالتجريد لن يكون علينا سوى زيادة (يّة) اخرى ، وبصرف النظر عن ان الكلمة تختتمة بها هي بالذات .

واذن فلتجريد معنى جديد من الشخصية يقـال « الشخصيّـتيّـة » ومن الانسانية « الانسانيّـتيّـة » وهكذا ؛ وهي كما ترى طريقة لا يبقى معها لبس او حاجة لمزيد من التدقيق ، فضلا عن كون القياس اللغوي لا ينافيها بل ويؤيدها [٢] .

اما زيادة « آن » قبل الا « يّة » التي يتبعها بعضهم في مثل هذا الباب كما فعلوا في ترجمة اللفظـة الآنفة بـ (الشخصانية) فهو اسلوف لا يمثل قاعده يمكن الركون اليها فضلا عن استحالته في بعض الاحيـان اي في الالفـاظ المثناة « ومصادر الاضطراب » – فعلان – ؛ وبالجملة في كل ما هو مختوم بـ (آن) تصريفاً كـ (الحمدان) و (الطيران) او وصفاً كـ (الانسان) . وهي في العربية لا تحصى كثر واستعمالاً .

ولتلخيص ما تقدم نثبت القاعدة التالية :

---

(١) لقد سبق ان اشرنا الى « المنطقية » التي تتمتع بها العربية وهي تعني « تفضيل » اللفظ على المعنى بحيث لا يكون فاضلا ولا مفضولا . . . الامر الذى يتماشي مع القاعدة المقترحة ، فاما اسس اللغة نفسها فهي تحتم هذا القياس لما هو مقرر من ان المصدر الصناعي يشتق باضافة ياء مشددة قبل التاء . . بعد ان اصبح التجريد الاولي يكون ، مع اللفظة الاصل، كلمة واحدة .

« تزاد » (ية) بعد كل كلمة يراد منها التجريد البسيط ، ويزاد عدد منها بقدر ما يراد من التجريد المركب ، وفي النسبة الى هذه الكلمات التجريدية تزاد واو قبل الياء والتاء في حالة التأنيث وقبل الياء فقط في التذكير [1] .

وبهذا نتخلص من صعوبات الاضطراب في المعنى والاضطراب في البحث عن زرائد لا تصلح دائما ؛ فأما الذوق فليس سوى الالفة ، فعندما يتعود المرء على النطق بكلمة ما فانها تصبح عنده مصقولة ومقبولة ؛ مع العلم بأن هذه الاساليب من نسبة النسبة وتجريد التجريد ذات ميدان محدود لا تكاد تتعداه وهو ميدان الفلسفة والعلم والبحوث (الجافة) ، وهي ميادين تحتاج لدقة التعبير قبل ان تحتاج لرشاقة الكلمة ، ولا سيما اذ كانت رشاقة تطمس المعنى وتلويه .

فأما العيوب المعجمية فهي متنوعة وعديدة ولكن ربما أمكن ارجاعها بالجملة الى صفة مشتركة هي (التميُّع » . واعني به تردد الكلمة الواحدة بين اكثر من مدلول واحد .

---

(١) ترد علينا في هذا الموضوع مسألة المقصور والممدود والمنقوص اذ ان قوانين الصرف التقليدية تقضي بقلب الهمزة الاصلية في الممدود او الف المقصور واواً وترك المنقوص على حاله فيقولون : صحراوى ـ موسوى ـ رامي ؛ حتى اذا اردنا ان نشتق منها النسبة المركبة وقلنا صحراوية وموسوية التبست بالنسبة البسيطة للاشتراك في البنية .
وللخروج من هذه الصعوبة اقترح في الممدود: عدم قلب همزته اطلاقاً واجراء الاشتقاق على اثباتها ، فيقال : صحرائية ـ صحراوية ـ صحرآوى ـ صحراوية .
واما المنقوص والمقصور فتقلب فيها الياء والالف واواً ولكن من اشباع الحرف قبلها بألف التمييز بين النسبة البسيطة منها ـ موسوى ـ موسوية في خصوص المقصور ولطرد الباب او للاحتياط يلحق به المنقوص ، فيقال اذن : موساوي موساوية ، رامسواي ـ راموية .
هذا وليس المقصود من هذا البحث تقديم كتاب قواعدي شامل ، بل بحسبي تقديم الخطوط العريضة ومحاولة البرهنة العملية على ضرورة وامكان القيام باصلاح جذري .

والواضح انه اذا كانت بعض الاساليب الادبية والخطابية تميل ميلا الى اشاعــة التردد وتقصد اليه قصــداً لغرض او لآخر فــان الاساليب العلمية والبحوثية بصفة عامة لتستاء من ذلك اعظم الاستياء .

ومن المؤسف – وان اتضحت الاسباب – ان لغتنا العربية قد ظلت في الجملة اقرب الى الاسلوب الادبي منها الى الاسلوب العلمي .. غـير ناسين رغم ذلك ما عرفته في القديم من دقة احيانـا ومن مجهودات المعاصرين ايضاً لجعلها دقيقة في الوقت الحاضر ، ولكن هذا كله يظل غير كاف ، وما يُنتظر القيام به في هذا الموضوع ليس بالقليل .

فمن ذلك توجد الكلمات المتفقة في اللفظ والمختلفة في المعنى ، إمــا بسبب من تداخل دلالتها الوضعية مع دلالتها العرفية او الاصطلاحية ، وإما لوجود جذر معنوي فرّعه الاستعمال فتباعدت الفروع عن الأصل ..

وفي العربية – قبل عصرنا الحاضر – كانت الكلمات المتفقة ترهق المعجم المستعمل وتزخر به ، اما الآن فقد اصبح المستعملون ولا سيما الباحثين والعلماء يسعون الى التخفيف من انتشارها ، فنحن وان لم نزل حتى الآن نستعمل لفظة (رسالة) لكل من معنى الدعوة والخطــاب (Lettre) والكتيب (Essai) ، كاستعمالنا لفــظ (اليمين) للجارحة وللجهة وللقسم ، أقول فانه مع ذلك لم يعــد من المستساغ ان نستعمل كلمة (الضحك) لمعنى الحيض ايضاً .. وان فاتتنــا سجعة مُحْجِيَة كالتي فعلها الحريري : « اذا ضحكت المرأة في صومهــا ، بطل يوم صومها » ..

هذا واذا كان من الاعتساف والخرق ان نقتل معاني بعض الكلمات المتفقة التي يسهل تمايزها على البداهة فضلا عن كونها حكاية لبعض المناحي الاجتماعية والحضارية – اقول فانه لمن نفس الحماقة كذلك ألا نصير الى

الكف من اختلاط المعاني المتشابهة ولا سيما اذا كانت لها كلمات اخرى مستقلة . وللمراجع الكبرى بعد ذلك ان تروي تاريخ هذه الالفاظ المكفوفة ... ان صح التعبير ..

وموضوع الكلمات المتفقة هذه يجرنا الى موضوع الكلمات المترادفة ؛ والواقع انها بذاتها كإحدى ثروات العربية الخصبة ، بيد أنها حين الاستعمال قد اصبت وكأنها عيبها الاول .

وعيب المترادفات هذا يَعُودُ الى كونها تتضمن مخالفة للقانون الاقتصادي العام . اذ ان المعني يكفي ان يكون له لفظ واحد ، فضرورة معرفة ما يزيد عن ذلك تكليف ومجهود بدون طائل ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان تنقل المعنى الواحد بين لفظتين او اكثر لجدير بأن يسيء الى ضبط الدلالة نفسها .. كما يسيء الى مفتشي الشرطة ان يكرن لطريدهم اكثر من سكن او عنوان ..

هذا ، وربما صح الزعم القائل بأن المترادفات بمعناها الشائع اي بمعنى انها مختلفة في المبنى متفقة في المعنى — ليس الا خرافة لغوية ، وانها في الواقع متمايزة وان بفروق قليلة او على درجات متقاربة .

فان كان هذا صحيحاً فليس على المعجميين والكتاب الا ان يلتزموا تلك الفروق او الدرجات بين كل لفظة واخرى ، وكفانا الله العناء .

فأما الشعراء الذين قد يرون في ذلك حداً لوسائلهم في (تلفيق) القافية واقامة الوزن فهم ازاء احدى اثنتين : إما ان يكون لهم (بمترادفاتهم) عزاء عن القراء ، واما ان يصبر هؤلاء القراء على (دلع) الجميل ...

والمسئولية التي ندعو الكتاب والمعجميين الى تحملها يجب ألا تتخلى

عن وضع قاموس يمتاز الى جانب تحديد الكلمات ، بحسن الانتقاء للحد الادنى الضروري من المفردات التى تكون معانيها اكثر طرقاً واستعمالاً ، بحيث لا يتطلب حفظ مجموعتها من الوقت والجهد غير اليسير ، اذ ان عملا كهذا جدير ان يجعل طالب العربية يشعر بنتيجة محسوسة لكدّه ، فيزداد اقبالا عليها وحباً لها ، وياحبذا لو يكون هذا القاموس ترجمانا باللغات الحية حتى لا يكون شعور الأجنبي ازاء لغتنا أقل مدعاة واغراء بطلب المزيد .

ان مشروعا كهذا قد عرفت فائدته العملية في التعريف بالثقافة الوطنية والتشجيع على الزيادة ، كثير من اللغات الحية ، وهذا كتيب الانجليزية الأساسية لا يتكون سوى من الف كلمة مع ترجمتها ، ولكن الالمام بها يجعل الأجنبي يجيد الفهم والتعبير عن اهم ما تتطلبه المحادثات اليومية .

*

ومواصلة لذكر مواطن التميع اشير الى « اسمي الفاعل والمفعول » ، والى « الصفة » التي تأتي على وزن فعيل كـ (بديع) ، والى المصدر المتعدّي المضاف .

والالتباس في الاسمين حاصل بين الأزمنة الثلاثة حيث ان صيغة (قاتل) مثلا تدل احياناً لا على مطلق الصفة ، بل وعلى الزمان ايضا ، وعليه فلا يعرف السامع هل ان المقصود هو حصول القتل في الزمن الماضي ام في الحاضر ، ام في المستقبل ، ام ان المقصود هو مجرد ممارسة الفعل على طريق الدوام والاستمرار وبصرف النظر عن زمان حصوله .

والواقع ان الفعل – لا الاسم – هو الاصل في تعيين زمن الحَدَث – كما هو بديهي من تصرفه الى ماضٍ وحال واستقبال ، فلماذا اذن لا نعود الى الاصل فنمحّض اسمي الفاعل والمفعول لمجرد قيام الوصف بموصوفه ؟ ؟

ان ذاك هو ما يخلصنا من التميُّع ويرفع الالتباس ، فأما التوصل الى تعيين الزمن والحدث فيتحقق – بكل بساطة – بالاتيان بجملة مناسبة ،

وعلى هذا يصبح معنى قاتل هو الاتصاف بالقاتلية مطلقاً ، كما تصبح جملة « الذي قتل او يقتل » قائمة مقام « قاتل » بمعنى الماضي او بمعنى الحال او الاستقبال .

واما صيغة (فعيل) فوجه الالتباس فيها يتمثل فيما ترد عليه من معنى اسم المفعول تارة (كقتيل) ومن معنى اسم الفعل تارة اخرى مثل (نصير) ؛ بل ان هذا قد يحدث ايضاً حتى بالنسبة للكلمة الواحدة ،) كما نقول : (تمثال بديع) اي مبدع (بالفتح) ، وكقول القرآن (الله بديع السموات والارض) اي مُبدعُها وخالقها .

والملاحظة ان هذه الصيغة هي مما ترد عليه الصفة المسماة (بالصفة المشبهة) ، واذا تذكرنا ان هذه الصفة لا تشتق في الاصل الا من الفعل (القاصر) كان لنا ان نستنتج ان ورود صيغة (فعيل) بمعنى اسم الفاعل او المفعول ، امر مخالف للاصل .

ثم واذا كان لاسم الفاعل بمعناه الاصطلاحي ان يشتق من الفعل (المتعدي) و (القاصر) فان اسم المفعول لا يشتق عادة ومستقلا عن (متعلقة) الا من المتعدي ، ومعنى هذا ان دلالة (فعيل) على اسم الفاعل هي اقرب ما تكون الى الصفة المشبهة ، وان دلالته – اي

فعيل — على اسم المفعول هي ابعد ما تكون عن الاصل واشدها مخالفة له .

فلرفع عوامل الالتباس يلزم ان نعود الى الاصل نفسه فنبقي دلالة فعيل في معنى اسم الفاعل ونقلع عن استعمالها في اسم المفعول .

*

والمصدر المتعدي عندما يضاف الى متعلق واحد يوقعنا تجاه المضاف اليه في لبس بين الفاعلية والمفعولية ، فعند سماعنا للتركيب : (اكرام سعد) نتردد بين نسبة الكرم الى سعد وصدوره منه ، وبين تلقيه هو من غيره ، وذلك بسبب من ان المضاف اليه او المتعلق — يأتي في اللغة التقليدية على الجر ، سواء اكان معناه فاعلا ام مفعولا به .

غير ان الخروج من هذا التردد لا يكلفنا هو الآخر حلا معقدا ، وانما يكفي هنا ايضا ان نعود بكل بساطة الى الاصول اللغوية ، وهذه الاصول تقرر ان المصدر المشار اليه ، له (قوة فعله) اي انه يعمل عمله ، ومن ثم فالاصل في متعلقاته ان يكون لها نفس احكام متعلقات الفعل ، وهذا هو الواقع فعلا في المفعول به اذا ذكر قبله الفاعل المضاف الى المصدر ، كقولنا (اكرام سعد عليا) ، وهو ايضا حكم الفاعل الذي لا يعتبر النحاة جره هذا سوى من قبيل الشكليات .

فعلى هذا الاساس نقترح طرد حكم المفعول به — المتعلق بالمصدر — وان لم يذكر فاعله ، كما نقترح طرد حكم فاعله وان لم يذكر معه مفعول به .

وهذا الحكم فيما يخص الفاعل هو — بعد ان الغينا الضم — :

السكون ، فاما بالنسبة الى المفعول بـه فالنصب على الاصل وكما هـو مندرج في القاعدة الكبرى عند الحديث عن مسائل النحو والاعراب .

والمثال التالي يلخص الفكرة ويزيدها وضوحا :

اكرام سعد – المتعلق وهو سعد لا يزاحمه غيره في فاعلية الاكرام .

اكرام سعدا – النصب يمحضه للمفعولية .

والملاحظ ان دقة المعنى على هذا الاقتراح لا تنفلت وان وقع تقديم المفعول على الفاعل ، كقولنا : (اكرام عليا سعد) . . لما تقدم .

*

هذا وليست الملاحظات الآنفة الا تمثيلا لبعض انواع التميـع ، التميع الذي يبدو اوغل في القدم من غيره ، حتى لكأنه قد اصبح ناتجا عن الوضع اللغوي عينه .

واما النوع الآخر من التميع – اي الاحدث – فمن الممكن ان يعود الى ظواهر لغوية هي اقرب الى الفروع منها الى الاصول .

واني افكر في هذا الصدد بكثير من المصطلحات التي لم تستقر بعد وبكثير من الاشتقاقات والتراكيب ... مما يراد به التسمية والتعريف حيث ظلت في جملتها مجالا للاضطراب والالتباس والغموض .

ففيما يعود الى الاصطلاحات يلاحظ ان القضايا المتعلقة بها هي الـتي فازت بنصيب اكبر من اهتمام كتابنا العرب ، فكانت اشهر القضايا المبسوطة في معرض الحديث عن تطوير لغتنا او في معرض مؤاخذة هذه اللغة ونقدها .

وقد تفهم اسباب هذه العناية الفائقة بالاستناد الى كثير من العوامل المتداخلة اجتماعية وثقافية ... نجتزىء بذكر ما هو في رأينا اهمها على الاطلاق ... بغد غض النظر عن الحاجة الاولية التي تستدعيها كل تسمية او اصطلاح . نعني بالعامل شعور المعنيين وفي طليعتهم « المجمعيون » بان في وضعهم اصطلاحاً عربياً لآلة - مثلا - اجنبية ، مساهمة ما في صنع هذه الآلة ، واختراعهـا ، وذلك لما تضفيه هذه التسمية العربية ومعاني المادة المشتقة منها ، من اخيلة وفكر ليست اجنبية عن العرب او مجهولة لديهم ، خلافا للآلة التي صنعها غيرهم وعرفها قبلهم ، فلفظة السيارة مثلا الموضوعة لـ (اوتوموبيل) (Automobile) تشعرك بالفة سببها مادة السير ، فاذا المعنى الغريب - في اصله وفي ذاته - مربوط بالمعنى الشائع ، واذا الذهن يحيط الاصطلاح باطار سابق المعلومية ، وبعبارة اخرى فان تسمية الآلة بلفظ عربي ليتجاوز في معطياته نطاق التسمية الى هذه الآلة نفسها .

واذا كان لهذه النزعة في وضع المصطلحات فوائدها القومية ومبرراتها الطبيعية احيانا ، فانها من الجهة الاخرى وبصرف النظر عن اي حكم تقييمي قد كانت من اسباب ذلك التميع الذي يحصل بين المعنى القديم - للسير مثلا - وبين المعنى الطارىء اي التحرك آليا على عجلات .

ويزداد هذا الاضطراب والتميع سواء كلما كان المصطلح وصفاً حياً لايزال يجري به الاستعمال في معناه العام والاصلي ، اذ يصبح المعنـى متذبذبا بـين الاصطلاح كاسم وبين الوصف كحالة من حالات « مـا صدق » ما

ومثال ذلك كلمة (الراقنة) التي وضعها بعضهم للآلة الـكاتبة ، فانك اذا اردت التعبير عن انثى تـكتب بها احتجت لجمـلة كاملة :

« الضاربة على الراقنة » وذلك لما سبق من اطلاق صيغة الفـــاعل على الاداة .

وقل مثل ذلك في (الهاتف) و « المسجلة » و « الحاكي » .. مما لا يحصى فهي كلها ذات معنيين يتنازعان على لفظة واحدة . !

وللخروج من هذا المأزق اقترح العدول عن صيغة « فعّال » المشدد ومؤنثه ، العـدول عنهما كمثالين من امثلة المبالغة – كما اشتهرا – وتحيضهما بدل ذلك لصاحب الفـعل اي اسم الفاعل ، فنبـدل جملة (الضاربة على الراقنة) بلفظة فقط هي اذن (الرقانة) بالتشديد ، كما نبدل (العاملة على المسجلة) (بالسجّالة) وذلك بصرف النظر عن كون مادة الاشتقاق ثلاثية او لا .

وهذه الصيغة فضلا عن كونها عربية صميمة حتى بالنسبة الى الاستعمال المقترح – اذا استعملوا قديماً عطاراً وبقالا . ؛ فضلا عن ذلك فانها تحظى بانتشار واسع في جميع لهجاتنا الدارجة – كقولهم (نسّـاجة) للعاملة في المنسج ، هذا الانتشار الذي يجب ان يولى كل رعاية ويعتمد كأساس من الاسس الطبيعية في نشر ثقافتنا القومية ، ولا سيما انه – بل ولكونه – يجمع ايضا تلك العراقة في العربية الفصحى .

اما المبالغة فليس « فعال » او « فعالة » مثالها الوحيد فهنـاك « فعول » كـ (صبور) و (فعّيل) كـ (سكّير) و (مفعال) كـ (مزواج) .

هذا ولعل في فقداننا لبعض صيغ هذه المبالغة وسيلة لا اقل منهـا لتجعلنا نقتصد ، او قل لتجعلنا نتعلم ، قليلا من الاعتدال في روحنا التي تجعل من كل شخص « رئيساً » و « اميراً » .

والواقع ان الكتاب قد باتوا – في كتابتهم – يميلون عن صيغ المبالغة بامثلتها الاصلية فاصبح وجودها في الاسلوب المعاصر نادراً معفى عليـه

وان كان قد حاول احياءه شخص مثل (كرم ملحم كرم) ... قبل ان يؤثر بجوار ربه على عبث عقيم .

وعلى كل حال فنحن لا ندعو الى سد الباب اذا قامت حاجة الكاتب الفنية الى التعبير ببعض تلك الامثلة ، على ان هذه الحاجة قد يكفي فيها احيانا كثيرة ان يضاف الى المعنى المراد بالمبالغة صفة مثل (شديد) أو (كثير) ... ،

هذا مثل لبعض ما قد حصل من المصطلحات واشتهر ، فاما غيرها فينبغي الا ينسى بصدد صوغ الفاظها اوزان الآلة والأداة الاصلية الشائع منها كـ (مفعل) : (مبرد) ، (وفاعول) : (ساطور) ، وغير الشائع على انه من اوزانها كـ (فِعَال) : (خِيَاط) و (فاعَل) : (طابَع) .

ولكن اذا قلنا بضرورة الانتفاع بالاوزان الاصلية واستعمال المهمل ايضا منها فإننا لا نعني ان يكون ذلك اعتباطياً فيما بينها ومطلقاً من كل قيد ولذا اضيف الى الاقتراح السابق اقتراحاً آخر بتخصيص بعض الاوزان ببعض انواع الادوات والآلات والبعض الآخر بانواع اخرى او تطلق فيه الحرية والاختيار .

فمن ذلك تخصيص صيغة مفعل مثلا للاداة اليدوية — على سبيل التمثيل ايضا — ومؤنثها للاداة الكهربائية او الميكانيكية .. أو أن نضع وزنين معاً تحت طلب الصياغة الى احد النوعين بدون اي اعتبار آخر ، وهكذا . .

وعلى كل فان هذه الفكرة تمثل امكانية هامة لا يجوز التفريط في جوهرها وان جاز تعديل الشكل الذي عرضته بها . وتظهر فائدة

الفـكرة التـوزيعية هذه فـيما تتيحه لنا من اختصاريـة لترجمة بعض الاصطلاحات التي بدونها يكون مقابلها العربي طويلا جدا اي جملة تصلح للشرح ولا تصلح للتسمية ، وهذا كما في (آلة (Elecroencepha logram) (ومعنى الاصطلاح : الرسم الكهربائي للمخ) فان الطريقة التي ندعو اليها تعوضنا عن هذه العبارة المضاف اليها لفظة آلة لفظتين فقط هما (مرسمة المخ) اذ ان المرسمة من حيث هي وزن تعوض لفظة الآلة . ومن حيث هي وزن معين بـ (مفعلة) تعوضنا عن ذكر (الكهربائي) المخصصة له – على فرض ان الاتفاق قد حصل على تخصيص هذا الوزن به – اما الباقي فيفهم من المدلول اللغوي . وهكذا يقال في امثال هذه التراكيب الطويلة الاصل والتي توجد فيها صفة عامة تستدعي التعبير بالفـاظ يمـكن الاستغناء عنها بالوزن ... بعد الاخذ بفـكرة توزعية وتخصُّصية على نحو ما سبق .

ولقضية المصطلحات جوانب اخرى لا تقل اهمية ، فهناك اولا مسألة ضمان حياة الاصطلاح ورواجه ، وهناك ثانياً مبدأ معرفة متى نضـع الاصطلاح وضعا او نبعثه بعثاً ، او نكتفي فقط بتعريبه ...

ولتحقيق النقطة الاولى لا بد من تحقيق صفات خاصة لهذا المصطلح ولعل اهمها ان يكون غير بعيد عن ذوق اللهجات الدارجة – المهذبة . وهذا يقتضيه ان يكون خلوا من التشادق والتحذلق ، وان يكون مألوف الوزن والمادة ولهـذا كان من المعقول ان تولد ميتة لفظة ك (الارزيز) التي وضعوها (للتلفون) وان تترعرع على جثتها في بعض الاقطار العربية لفظة (الهاتف) لما لهذه من رشاقة والفة ولما لتلك من ثقل وتنفير ؛ وذلك بصرف النظر عن العيب الراجع الى التميـع في صفة تتخذ اسما كما سبق .

وفعالية الدارجة وضرورة اعتبارها هنا يعود الى كونها اللغة اليومية

فلا اقل من ان نبرز ما يتقارب منها مع الفصحى كلما لاحت امكانية سليمة .

على اننا لا نعني بهذا ان ندعو الى تحكيم ذوق هذه اللهجات وجعله معياراً لما نصوغ ونضع من الالفاظ الاصطلاحية واسماء المسميات الحديثة فهذا الذوق كثيراً ما يكون منحطا ، وكثيراً ما يكون فاقداً لأهلية تحكيمه والاقتداء به ، وانما نريد ان نقول ان هذا الاقتداء متأكد كلما كان متماشياً مع مبادىء الذوق العام واساليب الفصحى ذاتها ، هذا من جانب الالفاظ العامة ؛ واما بخصوص اصطلاحات العلم والبحوث فيترخص فيها من الناحية (الجمالية) في سبيل توفير الدقة لها والوضوح . . كما سبق ان اشرت .

وربما كان من العوامل الحاسمة والضمانات الاساسية لعموم المصطلحات الجديدة ان يكون لفظها قد عرف قبل شخصها – نعني مسمياتها – وقبل اسمها الاجنبي ، فيتبادر الذهن العربي ولا بد الى اطلاق اسم عربي عليها مدفوعا بطبيعة كل عقل وميله الى تقييد المعنى تقييداً لغوياً ، على الاقل ؛ فاما اذا حصل العكس فعرفت الاسماء قبل المسميات او معها فالراجح ان تكون الغلبة للاسم الاجنبي .

*

هذا كل ما حرصت على ذكره فيما يعود الى احد فروع التساؤل الذي سبق ان اثرته في بداية الكلام عن الاصطلاح ، اعني كيفية صياغته ، فاما ما بقي من قضاياه اى متى نضعه وضعاً ومتى نعربه او نبعث مقابله . . فالامر فيها لا يحتاج في رأيي الى طويل كلام ، فبحسبنا ان نبعث الاصطلاح القديم بعثاً ان كان معناه مطابقا او حتى مقارباً للمعنى الحديث ، وان نشتق – في حالة عدم التوفق الى البعث – لفظاً جديداً

تراعى فيه الشروط السابقة .

ومهما يكن فان المهم ليس هو – كما قيل بحق – الجري وراء صياغة الاصطلاحات صياغة عربية ... بقدر ما هو خلق شخوص هذه الاصطلاحات من اكتشافات وابتكارات وصناعات . وعندئذ فلن يضيرها اي اسم يطلق عليها .

فالملاحظ اذن ان مبدأ نقل الاصطلاح او وضعه وضعاً ليس من شأنه ان يثير كبير تشعب ، وبالتالي فلا يستدعي في ذاته كل تلك الكتابات وكل ذلك الاخذ والرد الذي يشاهد من حين الى آخر بين الصحف والمجلات .

هذا من حيث المبدأ والمنهج ، فاما من حيث التطبيق فالامر مختلف ، واعني بهذا التطبيق : الناحية الصياغية البحت لبعض المصطلحات والمبتكرات العلمية ، فهناك الوف من هذه المصطلحات يختار – بل يجب – وضعها وترجمتها ، وليس تعريبها . وهي في اصلها مركبة من فئات من المقاطع والاجزاء يشترك كل جزء منها في بناء الكثير من الكلمات ، فترجمتها الى العربية تثير صعوبتين :

اولا – ان العربية لا تستعمل مثل هذه الاجزاء الثابتة بل تستعمل كلمة كاملة وغير ثابتة .

ثانيا – بسبب من ذلك يصبح الاصطلاح العربي اطول من الاجنبي وبالتالي عصيا على مقتضيات التصريف .

ومثال ذلك جميع الكلمات المبدوءة بالسوابق كـ (Anti) ، (Dé) ، (In) والمختومة باللواحق كـ (Logie) .. ، ومجموع النوعين جد كثير في اللغات الحديثة التي نواجهها في قضية الاصطلاحات .

واذا كان ممكناً حل القليل من مشكلة هذه الانواع – على الاساس الذي سبق ان اقترحناه من استغلال اوزان الآلة وتوزيعها توزيعاً معيناً فان ذلك يظل غير كاف ولا يستوعب جميع الكلمات المسبوقة والملحوقة ، فضلا عن ان اوزان الآلة لا يمكن اشتقاقها – اصالة – الا من الثلاثي .

واما اسلوب « النحت » و « التركيب المزجي » فانه لا يحل كذلك المشكلة اذ انه وان امكن نحت بعض الاصطلاحات الجميلة الواضحة المعنى مثل : « الزمكان » « من الزمان والمكان » و « الشمفريقي » « من شمال افريقيا » ، وتركيب البعض كما فعلوا قديماً في « بعلبك » و « معدي كرب » ، فان العيب الاساسي في الاول فقدان القاعدة العامة التي يصاغ بمقتضاها صياغة نحتية – كلُّ اسم مراد ، الامر الذي ينشأ عنه طمس المدلول كما هو الشأن في « السرمنة » مثلا المنحوتة من « السير في النوم » ، اذ لا يعرف غير واضعها هل هي منحوتة نحتاً او انها لفظة واحدة مرتجلة ؛ وحتى على فرض ايجاد قاعدة تخص مثلا بعض المواد ذات الاعتبارات المعينة فان ما يبقى منها عصيا ، لن يكون بالقليل ، لان هذه « القاعدة » على فرض استخراجها – قد تصطدم على الاقل بصعوبة طول بعض الالفاظ ، هذا الطول الذي قد لا يتبين بدونه وجه الدلالة منها ... ؛ وهذا ما يقال في التركيب ايضاً المزجي على العموم .

واذن فقد عدنا الى معاينة صعوبة جدّية في امر الاصطلاح في بعض جوانبه ، وبعبارة ادق في بعض انواع جوانبه واقصد تلك الالفاظ المركبة مما يعرف بالسوابق واللواحق .

ولو ان كثرة تلك الكتابات التي اشرت آنفاً اليها كانت قد كرست لعلاج هذه المشكلة لكان ذلك اجدى على الجميع .

والواقع ان اساساً للحل الجذري قد تقدم به بعدُ احد كتابنا

الممتازين ، وان كنت اشك في ان الكثير من القراء والمعنيين قد قدر الاقتراح حق قدره ، ولعلي لم اكن انا الآخر حريا بتحسس قيمته لو لا سابق اهتمامي بالموضوع .

فاما حضرة الكاتب فهو (الدكتور وليد قمحاوي) المعروف بكتاباته العميقة ذات الثقافة الضخمة والنزعة الى التجديد ... ، واما الاقتراح (فهو منشور بالمجلة التي يحق لكل عربي ان يفتخر بها ، وهل اعني غير (العلوم) البيروتية ، وذلك في الاستفتاء المنشور غرة اعدادها (مارس ١٩٥٦) .

واما الاقتراح نفسه فيتمثل في دعوة الكاتب الى (اشتقاق مقاطع عربية متعارف عليها ، وتوضع هذه المقاطع في صدور الكلمات او اعجازها لتدل على معان معينة متفق عليها ، فمثلا لو جعلنا مقطع « بع » يعني : البعد ، و « نظ » : النظر و « صر » ، التصوير و « دق » : الدقيق اي الصغير .. الخ فاننا نستطيع ان نكون منها عدة كلمات مفهومة . بعنظ — بعصر — دقصر — دقنظ ، وعشرات الكلمات الاخرى التي تشترك المقاطع الاربعة المذكورة في تكوينها) .

وليس لي ان ازيد على هذه الفكرة سوى الدعوة الى تعميم استعمالها والتنبيه على ان هذه المقاطع يمكن ان تستعمل ايضاً مع الكلمات الاخرى — الكاملة — فتركب معها ، وذاك يمكننا ان نترجم كلمة ك (Télépathy) بال « بع — شعور » عوضا عن جملة كاملة : « الشعور على البعد » [1]

---

(١) سبق لجماعة علم النفس التكاملي (ج ع م) ان ترجمت هذه اللفظة بـ (التخاطر) ، وعلى ان مقصودنا هو مجرد التمثيل ، الا اننا نرى ترجمتها بالاسلوب المقترح احسم في التدقيق ، فضلا عن كونه اسلوبا يشمل جميع الكلمات الاجنبية المركبة من المقاطع فلا نضطر في كل مرة الى البحث عن اللفظة المناسبة الكاملة بذاتها بل اننا لن نجدها دائما ولو بحثنا عنها دائما .

اما مسألة الذوق ، فكما لاحظ الدكتور انها مسألة الفة اولا وقبل كل شيء ، وكما اشرت من قبل الى ان حاجة البحوث والعلوم التي تستعمل فيها مثل هذه التراكيب والاصطلاحات هي الى الدقة احوج منها الى الزخرف والرشاقة .

وفي رأيي ان فكرة المقاطع هذه يجب ان تستغل الى اقصى حدودها فتشمل مقابلا لكل السوابق المفيدة الشائعة كما في اللغات اللاتينية مثلا وذلك حسب الاسلوب الذي اقترحه الدكتور من اختيار كلمات قصيرة واختصارها ثم التواضع عليها ...

وهكذا يصبح للسابقة (Anti) مثلا سابقة عربية يؤديها حرفا الضاد والدال في (ضد) مثلاً فنترجم (Antisemiste) بـ « الضد سامي » . . كما استعمل القدماء سابقة « لا » النافية للمعدول عنه ، مثل « اللانهائي » ، بل ان الموثقين كانوا قد استعملوا سابقة « اجرأ » من قلك كقولهم : « العدل — كان » [1] وهي تؤدي احسن أداء معنى السابقة اللاتينية .

وبعد فان الاخذ بفكرة المقاطع يتيح لنا فضلا عن الدقة والاختصار يتيح لنا « منظراً » علميا للمصطلحات التي تركب منها ، لان هذا التركيب يظل مستبعد الاستعمال في الشعر والمواضيع الادبية الصرفية ، وانما سيكون ميدانه البحوث والعلوم والآلات والادوات . ؛ فأن توجد للمفردات « شخصية علمية » فذاك انسب ما يتطلبه روح العلم ويستعين

---

(١) لم نقل لاحقة وان جاءت في عجز الكلمة ، لان (خبر كان) يجوز كما هو معروف — تقديمه ، ولو لا ذلك لصح ان يكون هذا التركيب مؤنسا لان نقترح الاخذ بفكرة اللواحق ايضا ؛ وعلى كل حال فان الحاجة هي التي يجب تحكيمها ولا عبرة بعد ذلك الا باختيار الكيفية التي تؤدى بها .

به في الاشعاع والانتشار .

*

انتهيت في الفصول السابقة من محاولة تشخيص اهم العيوب التي تنوء بها العربية القائمة فرأينا ان هذه العيوب مركبة ومتعددة فهي تظهر في النواحي الشكلية مبتدئة من رسم الحرف منتهية الى رسم الكلمة ، كما يظهر في النـواحي الصميمية للغة ، من قـواعد نحوية وصرفية ومن اساليب اشتقاق واصطلاح وصياغة وحتى في المفردات ذاتها .

ولم نقتصر على تبيين العيوب وتشخيص الداء اذ ان ذلك بمفرده قد يعتبر عملا تهديميا ، او هو على الاقل مجهود عقيم ان لم يقترن برسم خطوط التطبيـق ، فحاولت جهدي ان اقترح العلاج الشامل الممـكن التحقيـق .

ولكن نظراً الى ان ميادين الحياة لا تعمل مستقلة عن بعضها بعضا بل متكاملة ومتبادلة التأثير فان النقص الاول الذي يتسم به بحثي هذا هو انه اقتصر على علاج الظـاهرة اللغوية في حين الا بد من علاج بقية الظواهر الاخرى الاجتماعية والاقتصادية ... الخ . وعذر اخيك انى اعجز من ذلك – ان كان في العجز عذر – ولكن لا اقـل من اني نوهت في كل مناسبة بضرورة مراعاة تلك النواحي ومن « حسن الحظ » أن العيب هنا لا يعود الى فقر المكتبة العربية من مثل هـذه البحوث وبالجملة فاني ارى ان هذه الاقتراحات التي قدمتها جديرة ان تساعد ثقافتنا على النهوض ، اذا نهضنا في بقية الميادين الاخرى بل واني مقتنع ان ثقافتنا ان لم تأخذ بمثل هذه الاقتراحات وباصلاح جذري للاداة فستظل قليلة التجاوب والحيوية حتى ولو توصلنا الى نهضة معتبرة في تلك الميادين ان جاز ان الحياة تسير وفقا لهذا التصور او الافتراض » .

هذا وربما ان موضوع تلك التشخيصات والعيوب السابقة يظل – فضلاً عن النقص المشار اليه – قاصرا ان لم نضف اليــه اهتماما مماثلاً بعيب ألمعت اليه في فصل سابــق اعني عيب تغلب الدارجة وقلة حيويــة الفصحى .

والواقع ان جميع تلك العيوب مندرجة في هذا العيب فهي تعمل فيه متفــاعلة متــعاونة ، كما تتلاقى مختلف الجراثيم على بنيــة اضناها الصراع .. وان لم تكن عيوب اللغة وحدها هي اسباب هذا المصير .. ، ولهذا فليس الا من التكرار ان نتكلم عن عيب قلة الانتشار وغرابــة الفصحى وانحصارها في بعض الميادين الضيقة .

غير ان بعض الكتاب [1] يزعم ان الشعوب العربية – يعني العوام – لا تعجز عن فهم الفصحى ، وان التباين مع الدارجة ضئيل تافه ولهذا فاني اعقد الفقرة التالية لمناقشة هذا الرأي بالاستناد على بعض الوقائع اليومية وان كنت اعتقد ان الامر من البداهة بحيث لا يستدعي اي استشهاد .

كان يظن الله واحدا . !!

... ومرة اخــرى تجدنا تجاه الــكتاتيب ، والــكتاتيب في مغربنا العربي لا يمكن ان تنسى حتى وان بعد بها العهد وتقادم ، فهي اول خطوة يخطوها طفلنــا في اتجاهه الثقافي بل وفي حياتــه (الجدية) عموماً ...

غير اني احسب ان هذا الاعتبار ليس هو ما جعلني اختلف عليها

---

(١) مثل الاستاذ اديب قموار في مقاله « العربية الفصحى في حيرة » المنشور بمجلة الآداب البيروتية (السنة الرابعة العدد الخامس) .

هنا اكثر من مرة ، لأثار للصغير فيّ من (فلقة) ادمت قدميه ، او لأعيش مرة اخرى أرق الغبطة ايام الاشراف على ختمة [1] (سبح اسم ربك) ... وانما احسب ان طبيعة الموضوع نفسها هي السبب ، ذلك بانه عندما يكون المدار على اللغة الفصحى وكتابتها من جهة ، وعلى وضعية هذه اللغة والكتابة لدى الجمهور من جهة اخرى — فانه لا احرى من تلمس امثولة ذلك لدى من تجتمع فيه الفة الدارجة ومجاورة الفصحى ، حتى يُتأدى الى المقارنة ، واستنتاج الغرض المناسب المنشود .

وخير امثولة لذلك ، الكتاتيب ، وحسب المؤدب تعزية انه اسعف باكثر من استشهاد .

على ان مؤدبنا الآن ليس كسابقه شراسة وحدة مزاج بل بالعكس يبدو وادعا ومتفهما ومستعدا على الاخص لابدال افكاره وممتقداته .. حتى ولو صاحبته مدى عمره الطويل .. بشرط ان يستصوب الفكرة ويقنعه الدليل ، وهذا ما وقع له فعلا مع احد تلاميذه ، فقد اخذ هذا يتردد في النطق بما املاه عليه منذ برهة ثم قال الصبي : سيدي كيف تقول ان الله واحد فقط بينما الآية تقول : (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) ! !

وفوجىء المؤدب العجوز وكأنه لاول مرة يسمع هذه الآية الكريمة التي لا شك انه قد كان اعادها الوف المرات ، لقد استيقظ الآن عقله ، فهو يفكر ويراجع ويستنتج .. بينما لم يكن من قبل يعنى باكثر

---

(١) عند الوصول الى بعض السور المعينة يزخرف لوح الصبي ويحتفل به اهلوه ويرسلون بالشاي والحلوى ... الى الكتاب حيث يوزعها المؤدب على بقية الصبيان .

من الحفظ ، واعلن لتلميذه ، وكله اعتراف وشكران : (عمري سبعين سنة أونا نحسب الله واحد بركة ، أولو كان ما كش انت راني امشيت للنـــار » !

وقصة اخرى كنت شخصياً طرفا فيها .. مع عمة لي ، وعمتي هذه تزعم انهـا (مستمعة) اي خالطت كثيرا العلمـاء واخذت منهم ، والعلماء هم العارفون ببعض امور الدين وببعض مسائل اللغة ، ومن ثم فانها كثيراً ما كانت تتزعم حلقة ينضم فيها اترابها العجائز من الجيرة والاقرباء يستمعن الى (كلام ربي والنبي) ، فلم تكن تضن عليهن بما تعرف ... من شؤون اللغة والدين .

وكان « درسها في اغلب الاحيان يبتـدىء بـ « الآجرومية » التي تسميها « جرميه » ولكنها تنطق بالجملة الاولى منها « الكلام لفظ .. » هكذا : « الكلاوي لفظ مفيد » وتضيف لها من « الالفية » هذه العبارة : « كس طم » — تعني « كاستقم » ثم تفهمهن ان ذلك يعني حديثا عن رجل صالح دامه قط وهو يأكل الكلى فزجره بالصوت « كَسْ » ...

وليس يعنينا كيف كانت هذه المتعالمة تتمادى في القاء باقي حديثها ، ولا كيف كان يحترمها لذلك كثير ممن هم عند العامة متنورون ، من رجال الـكتاتيب واشباههم ، وانما قادني الى الحديث عنهـا طبيـعة الموضوع وما يقتضيه من بيان مستوى فهم المربية ، لا عند سائر العوام فحسب ، بل عند طبقة تعد ، ولا محالة ارفع (تنّـورا) من سوادهم ..

ففي ذات مرة عدت لاقضي عند ذويّ العطلة الصيفية وكان الطقس حاراً جداً وعمتي وحلقتها تحتل الطف مكان بالمنزل ، فجاورتهن مباعداً ما امكن واخذت في حفظ قطعة شعرية ... وما هي الا مدة وجيزة

حتى طلبن مني ان ارفع صوتي اكثر ، وألا احرمهن من (قول ربي والنبي) .. واخذت دموعهن تتساقط خشوعا وهن يغمرن بالدعوات الصالحة « من علمني وقرّاني » .

اما هذه القطعة فلم تكن طبعاً من قول ربي ولا من قول النبي « صلعم » وانما كانت من شعر ابي نواس ... غفر الله له مجونه وغفر لنا الغواية ..

وهل اتاك حديث القراء ، حديث بعض عامتهم ، وهم يفسرون انباء المذياع او يقرؤون على المستمعين بعض الجرائد ... ، فكم كان السماد سميذا والقطار شخصاً يحترف التقطير والجمّال بعرانا . وكم كان لام التوكيد اداة نفي ، وكم اثبت منفي ، وكم اخذ المستقبل كاض او الماضي كمستقبل ... ، وغير ذلك كثير من تصحيف اللفظ وقلب المعنى وتشويهه وتعويضه وبتره وتلفيقه .

ولعله يعد من « اثقف » هؤلاء ذاك الذي ينطق جملة ك « (المسيو منداس فرانس) حيث يختصر — في تونس مثلا — صدرها الى « الم » ، يعد من اثقفهم وهو ينطق بها هكذا : الف لام — ميم ، منداس فرانس) ... !

هذا وفي الوسع الا يكف المتتبع عن ايراد الامثلة لولا ان هذه النماذج الثلاثة يمكن — لسبب اشرت اليه — ان تؤخذ كعينات لمستوى فهم العوام للفصحى ... وان لم نكن — لولا ما اثاره الاستاذ قعوار — في حاجة الى اي تمثيل ، اذ ان الواقع اليومي ليقدم لنا في كل لحظة الوف الشواهد .

اما اذا وضعت القضية في وضعها الصحيح فاقتصر على القول بان

العامي قد يفهم احيانا الفصحى او يعرف بعض الفاظها ، فهذا ما لم تتجه النية الى انـكاره ، وان كان مثل هذا الفهم – على عكس مـا يذهب اليه المبالغون – لا تكاد تكون له قيمة ما ، ولعله لا يستبعد ان يحصل مثله حتى بين لغتين مختلفتين ... اذا كانتا من اصل واحد .

ولعل من الخير بهذه المناسبة ان نحاول معرفة المواطن التي يمكن فيها للعامي ان يفهم القصص وتلك التي تستعصي – فيها – دونه أو تلبس عليه .

وقد بدا لي ان الحالة الاولى لا تعدو الالفاظ المشتركة بين الدارجة والفصحى ، بشرط ان يكون المعنى العام مشتركا كذلك ؛ ولا تؤثر التباين الذي يعود الى التحريف الهيّن البسيط .

واما مواطن الاستعصاء او الاضطراب فتشمل جميع الحالات التالية : –

١ – الالفاظ المختلفة معنى وان اشتركت مبنى ، وهذا كـ « أتى » في الجنوب الجزائري مثلا [1] لمعنى معاكس تماماً وهو قبل .

٢ – جميع المفردات التي لا تستعملها الدارجة وليست في قاموسها ؛ ويدخل في هذا الباب كذلك اغلب حروف الجوازم والنواصب وادوات التوكيد وغيرها ، مما ليس له في الدارجة نظير .

٣ – جميع التغيرات التي ترجع الى النحو « الوظيفي » اي الذي يتوقف عليـه المعنى ، وهو ما بينته في الفصل الخاص بالاعراب

٤ – الحالة التي يمكن للعامي ان يفهم فيها ألفاظ الفصحى تصبح ملتبسة او منغلقة تماما بمجرد ان يدخلها أي من مجمولات الحالات الثلاث الآنفة .

---

(١) ولكني لم اسمها الا منفيـة : (ماجاش) (اي امتنع)

فاذا كانت هذه الملاحظات – وفي وسع كل منها ان تثبت صادقة ، فاننا لن نستطيع وحسب ان نلمس بالاجمال المستوى العام لفهم الفصحى عند الجمهور ، بل ان نرسم منحنياته وتوزعاته – بشرط واحد فقط هو تعين اللهجة المقارنة والتحري مما اذا كانت لفظة ما خاصة بهذه اللهجة فقط او تشاركها فيها لهجة اخرى . وعلى هذا فمن الممكن ان نحكم مسبقاباان جملة كـ « طلع النهار » مفهومة تماما ، ولكن الاضطراب يدخلها اذا تصدرتها : اذ او قد .. او ادخلت عليها بعض الادوات مثل لم . لن . مهما ... ، وهذا ما يقال في كل مادة مألوفة عندهم قبل ان يدخل عليها اسلوب التغيير الفصيح ، فـ « ذهب » مفهومة تماما ولكنها تلتوي اذا بنيت للمجهول او اسندت الى الاثنين او ادخلت عليها احدى نوني التوكيد او النسوة[1] وكذا ان كانت مع لفظة واسلوب غير معروفين ، كـ (ذهب الاسف) (ذهب اسفا) (اذ قد يؤخذ أسفا كفاعل بدل الحال) ..

والواقع ان عامل السياق يمكن ان يفيد كثيرا في هذه الحالات فيصبح الفهم اقل اضطرابا وادنى الى الصواب ، ولكن الملاحظ ان هذا

---

(١) الواقع ان بعض القبائل يستعمل فعلا نون التوكيد في الدارجة ومنهم قبيلة (آل طرود) في الجنوب الجزائري وقبيلة (المحاميد) بالجنوب التونسي ، وقد اطلعني الشاعر الجزائري مفدي زكريا والاستاذ عثمان منسية رئيس مصلحة الادب الشعبي في وزارة المعارف التونسية على قطعة مؤثرة لامرأة من القبيلة الاولى ومطلعها (نياد اي من ايفله) وردت فيها مرات نون النسوة . كما ان بعض القبائل الاخرى من اهل الجنوب الجزائري يعبرون بصيغة المبني للمجهول الفصحى ، وان ببعض التسهيل ، كما يتبين في آخر المقطع : (كاره سيدي واش نعمله يا خالق الله ؟ نشرب دمه ؟ نشوي لحمه في الطبونة ؟ هاوطاب احرق اشوي)وهو من شعر مرأة ايضاً تتحدث عن مشاعرها تجاه الفرنسيين الذين تكلوا باحد الزعماء الوطنين قبل سنة ٤٠ – ومثل هذه الامثلة يؤكد ضرورة تخصيص الاستشهاد بلهجة معينة وليس بجميع اللهجات الدارجة وذلك لما بينها من تباين واقتراب او ابتعاد بالنسبة الى الفصحى ، اما الملاحظات في شكلها المجرد فهي تعم جميعها .

الفهم يظل مقصورا على المعنى الاصلي العام للجملة فلا يدخل فيه ادراك المعاني الاضافية التي تحدثها الادوات والتغيرات الاعرابية والصرفية ، واما تأثير السياق فهو وان افاد في بعض الاحيان فانه لايفيد ولا تكون له ، دائما ، الفعالية والجدوى ؛ وقد سبق ان رفضنا مبدأ الاتكال عليه بالنسبة الى العارفين بالفصحى ، فمن باب اولى أن يرفض بالنسبة الى من يجهلها .

هذا كله بالنسبة الى الالفاظ المعروفة او التراكيب المتكونة منها .. مما يشتمل على بعض النظائر ، فاما فيماعداها فيستحيل تماما الفهم ويغلق ايما اغلاق ، وهذا كالجملة (آبتى الضيم) مثلا وغيرها من المواضع التي سبق ان بيناها .

والخلاصة ان فهم العوام للفصحى لهو من البساطة والضحالة بحيث يمكن اهماله تماما والنظر اليه على انه مفقود اصلا .

واذن فالعيب قائم ولا بد لازالته من ازالة جميع العيوب السابقة التي انتجته ؛ وقد بسطت فيما يعود ، الى الناحية اللغوية والكتابية ، الاقتراحات التي اراها شافية ، ولغيري ان يرسم خطوط التعديل في تلك الميادين الاخرى المكملة والمتكاملة .

٤

العربية المنشودة بين الاتهام والدفاع

اعرف ان اغلب الاقتراحات التي قدمتها في هذه الرسالة ستثير لدى الكثيرين السخط والاستهزاء والاتهام بسوء الطوّية ، فهم قد ابدوا مثل هذه الردود حتى بالنسبة الى بعض نداءات التجديد التي لاتتصل الا باصلاحات سطحية او مواضيع جزئية وربما كانت اهم العوامل الشعورية التي تقودهم الى مثل هذا الموقف تصورهم ان في الاخذ بمثل هذه الاقتراحات قضاء على الدين والتراث الثقافي او هو على الاقل تمهيد يؤدي الى القضاء عليها .

وقبل ان نناقش زعما كهذا يجدربنا اولا ان نتلمس مدى الابتعاد الحقيقي بين العربية الفصحى والعربية المنشودة ، هل هو ابتعاد يصل الى المعنى او هو يتناول فقط الشكليات ؟ ان الاجابة على هذا التساؤل لاتقتضي اكثر من الاحالة الى الاقتراحات في الفصول المبنية عليها ، فقد حرصنا دائما على ان يكون الاساس عربيا فصيحا اي ان تكون الاقيسة معتمدة على نفس الاساليب التي تستعملها الفصحى .. ، وان آثرنا احيانا لهجة على الاخرى او طريقة اقل شهرة من طريقة

اخرى ، وبررنا كل ذلك على اساس (العربية العامة الفصحى) ؛ والواقع ان هذا الاساس هو المبدأ الاول والمعيار الذي اتخذناه في هذا البحث من عنوانه الى موضوعه .

على اننا لابد ان نلاحظ ان عدم الاختلاف لا يصدق الا في حالة معرفة العربيه القائمة ايضا . اما بالنسبة لمن اقتصرت معرفته على العربية المنشودة فانه من الممكن ان يضلل ببعض الاختلافات الشكلية فتؤثر على فهم المعنى الصحيح ، وذلك بسبب من ان العربية المنشودة هي التي تصبح عنده بمثابة (الارضية) او المنظار الذي ينظر منه الى العربية القائمة . واكثر ما يبدو ذلك في المسائل الراجعة الى القواعد ، فمثلا اذا صادف اللفظة (انسانية) على ان المقصود منها هو معنى (Humaniste) مؤنثا — حسب العربية القائمة — فانه سيفهمها على انها (Humanisme) وذلك لانه تعلم أن المعنى الاول انما يعبر عنه في العربية المنشودة بـ (انسانوية) وليس (بانسانية) التي هي للنسبة المؤنثة البسيطة ، فيما تعلم .

والحق اننا لاندعو الى اهمال العربية القائمة اهمالا ونفض اليد منها نفضاً ، ولكنا ايضا لانتراجع في الدعوة الى جعل العربية المنشودة هي وحدها السائدة في جميع المرافق الحياتية والثقافية العامة ، وبعبارة واحدة لتترك احداهما للمختصين فقط ولتعمم الاخرى لدى العموم .

هذا وربما كان من المبالغة ان نميز العربية القائمة عن المنشودة كما نميز بين اللغة اللاتينية مثلا واحدى المتفرعات عنها ؛ فقد رأينا ان الاختلاف بينهما لايكاد يتجاوز الجانب القواعدي وبعض الشكليات الاخرى التي يفيد عدمها العربية المنشودة ولم يفد وجودها العربية القائمة

وهذا الاختلاف يمكن القضاء عليه ببيان لا جميع القواعد واللاقواعد التي تتبعها العربية القائمة بل فقط بافهام الطلبة الفروق المميزة ؛ ولن

يكلف ذلك مجهودا ولا سيا بالنسبة الى الطلبة الذين تجاوزوا المراحل الابتدائية .

من هنا يتبين ان الخشية على الدين وعلى التراث ليس لها مبرر جدي ، او قل انها مبالغ فيها الى حد كبير . ولكن لنفرض مع ذلك ان هذه العربية التي ندعو اليها قد تطورت في المستقبل تطورا كبيرا واصبح مابينها وبين اصلها مثل ما بين اللاتينية والفرنسية مثلا ؛ حتى في هذه الحالة يستطيع ان يطمئن المتخوفون ويجزموا ان تغيرا محتملا في نظرة الاجيال اللاحقة الى التراث والدين لن يكون سببه ذاك البون المفروض بين عربية اليوم والغد .

ليطمئنوا ، لأن اكثر الشعوب التي تعتنق اليوم الاسلام وتتحمس له اكثر من تحمسنا نحن ليسوا عربا ولا يعرفون – من حيث هم شعوب – قليلا ولا كثيرا في العربية ، وحتى الرجال هؤلاء الدينيون لم يعودوا متوقفين على معرفتها كثيرا ، وذلك لوفرة الدراسات والتراجم والشروح المتعلقة بالاسلام والمكتوبة بلغات غير عربية .

ليس هذا فقط ، بل واحسب ان مصدر الدين يكون اعظم وقعا واشد تأثيرا كلما كانت لغته غريبة على العوام وجمهور المعتنقين .

وهذا ما هو واقع بالفعل في الصلوات المسيحية وبعض ادعيتها التي يقرؤها الكاهن بلغة لاتينية ، حيث يسود الخشوع وتهطع القلوب وكأن السيد المسيح نفسه هو الذي يتكلم . في حين ان هذا التأثير يكون اقل قوة كلما كان بلغة مفهومة ، اذ ان مجرد ماتوحي به هذه من متاعب العيش ومضطربات الحياة اليومية التي تستعمل فيها هذه اللغة لجدير بان يبخر تلك الخشية ويقشع صورها المصاحبة ..

ولعل كل واحد منا يمكن ان يقارن بين الانطباعة النفسية التي تتركها فينا آيات القرآن في عهد الكتاتيب ، وبين الانطباعة التي تتركها فينا نفس هذه الآيات وقد اصبحنا نجيد فهم العربية .

اما انا شخصيا فقد اصبت بمثل الخيبة عند ما اصبحت اعرف شرح قصيدة حفظتها دون اي فهم ، لقد كانت انغاما من ناي الرعاة وانفاس الفجر ولألأة النجوم .. بتمازج سحري وبتأثير لا يوصف ، وهامي الآن مجرد معان وافكار إن تكن جميلة فهيهات ان يكون لها ذلك الجمال والسحر والتأثير .. !

واحسب ان هذا التفاوت لايعود الى تطور المرء في حياته وترقي مستواه العقلي على ما يفترض من ان مثل هذا التطور يجعلنا نبتعد قليلا أو كثير عن دنا (اناشيد الرعاة وانفاس الفجر .. ،) احسب انه لايعود الى هذا بقدر ما يعود الى نفس طبيعة الفروق القائمة بين لغة مفهومة ولغة قلما تفهم .

ذلك باننا في الحالة الاولى انما نتجه الى المعنى اولا وقبل كل شيء فلا يؤثر فينا عاطفيا الا اذا توفرت له شروط التأثير ، اما الناحية الشكلية البحتة فهي تقوم بوظيفة المساعدة عليه ، لا اكثر .

واما مع اللغة غير المفهومة والتي تتخللها مع ذلك بعض الالفاظ المعروفة فالذي يحدث هو العكس تماما ، اي ان مصدر التأثير هنا انما هو الناحية الشكلية من جرس ونبرات والقاء ، من جهة ، ومن الاعتقاد بانها تحتوي على معان ما ، حال دون ادراكنا اياها جهلنا بها ، فهي سر محبب كشفه ولكن لا سبيل اليه ، من الجهة الاخرى .

اما تلك الالفاظ المعروفة التي تتخلل هذه اللغة فانها لا تقوم بمساهمةٍ ما في

التخفيف من حدة هذه الانطباعة ، وانما هي على العكس تزيدها عمقا واتساعا لانها تصبح بمثابة عامل الاطماع والاغراء بكشف ذلك (السر) فكاننا ولسان حالنا يقول : انها ليست غريبة عنا هذة اللغة وفيها الحروف التي نتكلمها ، والفاظ مما نعرف . فكأن في نفسنا مبدأ لمعرفتها ولكن حجبها تلفعه وتستره عنا ؛ وحيث ان ذلك الطمع لا يؤدي ، كما سبق ، الى الفهم والادراك فان التأثير العاطفي يزداد شدة على شدة واتساعا على اتساع ..

فاذا ما اضفنا الى كل ذلك عوامل الماضي البعيد وما له في ذاته من تأثير ، واضفنا كذلك صعوبة عزلنا الدين الاسلامي – وخاصة اصوله – عن العربية القديمة – القائمة – اتضح لنا لماذا تبكي العجائز لاحدى القصائد الماجنة ، كما اتضح لنا أن لا خوف مطلقا على هذا الدين من العربية التي ندعو اليها حتى ولو انتهى بها التطور الى شوط بعيد ..

واما عن تراثنا الثقافي فاني لاتساءل كم من القراء العارفين بالعربية القائمة ينصرفون اليه ؟ واخشى ان يكون الجواب الحقيقي ان القليل فقط هم الذين يعودون اليه بين الحين والحين ، فاما عموم القراء عندنا فهم إما بلغة اجنبية يطالعون ، وإما انهم يقتصرون على انتاج المحدثين المعاصرين .

فالذين يعودون الى الكتب القديمة يكادون يكونون هم ذوي الاختصاص او اشباههم ، وما دمنا لا نقول باهمال الاختصاص بل بالعكس لا بد ان تعنى مجموعة كافية من قسم اللغات بالعربية القائمة ، فانه لن يكون من فرق اذن بين مدى انتفاعنا الآن بهذا التراث وبين مدى الانتفاع به غدا ..

ومهما يكن فان (ترجمة) لاهم الكتب القديمة لاتحسم وحسب

وساوس الخشية على تراثنا بل وتفيده ايضا ، لان القراءة تصبح سهلة ومعرفة اللغـــة هينة فيتوفر الاقبال عليها ويصبح مصيرها خيرا مما هو الآن .

الخاتمة

لن يكلفنا اذن تحقيق العربية المنشودة غير التنازل عن جدوى القواعد والعبثيات التي صرفنا فيها زهرة العمر ، وغير استبدالها باليسير من القواعد الاخرى التي لا يعتريها شذوذ ولا خلاف .

ورغم ما لعمليةٍ كهذه من جهد نفساني ومقاومة لاكثر من عامل شعوري وغير شعوري .. فانه ليجب الاتذكر بجانب الفائدة المرتجاة .

وعلى هؤلاء — ولعلي منهم — ان يتعزوا بالغاية التي تستهدفها هذه العربية الجديدة ، وما احسبهم الا واجدين العزاء الاكبر اذا تحققت هذه الفروض المستهدفة .

١ — زوال العوائق التي كانت تقف لدى المترجمين وتوفير جميع قوالب الاصطلاحات العلمية والتعابير الفنية واساليب التدقيق وحسم الالتباس والاحتمال .

٢ — زوال الصعوبة التي تنسب الى العربية وصيرورتها من اسهل اللغات الحية ، ان لم تصبح اسهلها على الاطلاق .

٣ — انخفاض تكاليف الكتاب العربي بحيث يصبح في متناول العموم ، وتقاصر الوقت اللازم للطبع ..

٤ – نتيجة ذلك في انتشار العربية لدى الجمهور العربي وفي توفر مغريات اقبال الاجانب عليها .

٥ – تأثير ذلك وفعاليته في رفع المستوى الثقافي العام وفي اتاحة الفرصة – من ثم – للتعبير عن نتاج العقل العربي بكيفية اوسع .

وبعد ، فما كان اجدر اولئك المتخوفين على الدين والتراث والقومية ان يذكروا جيدا انه لا في الدين ولا في القومية ولا في التراث من الاسباب الذاتية التي تحفظ البقاء او تقود الى الفناء ، بقدر ما هو في الامة نفسها التي تعتنق ديناً وتنتسب الى قومية وتراث .

وليس كالتقدم الثقافي دلالة على مناعة الامة .

ولا تستوي في المساعدة على هذا التقدم لغة هذه مزاياها ، ولغة تلك عيوبهـــا ...

روافد الكتاب

أ) روافد عامة :

اهم الكتب القديمة المعتمدة في النحو والصرف واللغة حيث كان استنادي اليها في خصوص وصف القواعد والسماعيات والاشتقاقات والتصاريف والتخاريج ووجهات النظر المختلفة ، وحكاية بعض الامثال الاستشهادية ... الخ .

ب) روافد خاصة :

وقد كان رجوعي الى بعضها للاستفادة ، اما البعض الآخر فللمناقشة ، واهم النوعين كليهما منشور بمجلات الآداب والاديب والعلوم البيروتيه ، وبمجلة الفكر التونسية كالآتي : —

الآداب

١ — قضية اللغة العربية . السنة ٤ ع ١١ (عدد خاص) .

٢ — العربية الفصحى في حرج ؟ السنة ٤ ع ٤ — الدكتور عبد العزيز الاهواني .

٣ — اين الحرج ؟ السنة ٤ ع ٥ رئيف خوري .

٤ — الادب العربي وازدواجية اللغة . السنة ٢ ع ١٠ فؤاد افرام البستاني

٥ المصطلحات العربية وحاجات المجتمع السنة ٢ . ع ١٠ الدكتور مصطفى جواد .

٦ — نحو ثقافة عربية افضل السنة ٢ ع ٤ الدكتور قسطنطين زريق .
النشاط الثقافي في العالم العربي . لبنان . السنة ٢ . ع ٧ قلم التحرير .

الاديب

١ — مواليد جديدة في اللغة — السنة ١٦ ع ١٢ — محمود تيمور .

العلوم

١ — الى متى تظل المواد العلمية تدرس بغير اللغة الأم في جامعاتنا ومعاهدنا الثانوية ؟ السنة ١ — ع ٣ — استفتاء اجاب عليه جمع من الاساتذة .

٢ مقالات خمس مخصصة للعربية . السنة ١ ع ٩ — جمع من الاساتذة .

٣ - اللغة العربية بين الفصحى والعامية السنة ١ ع ١٠ الاستاذ عارف النكدي

٤ - نظرات علمية في لغة الجرائد واللغة الدارجة بتونس . السنة ٢ ع ١١
الاستاذ ساطع الحصري .

٥ — هكذا يكون التيسير . السنة ٢ ع ٤ الدكتور انيس فريحة .

٦ — بين الفصحى والعامية . السنة ٢ ع ٦ — الاستاذ ساطع الحصري .

الفكسر

١ ــ حياة اللغة العربية (عدد خاص) السنة ٥ ع ٥ (فبراير ١٩٦٠) .

٢ ــ (امكانيات اللغة العربية) السنة ٥ ع ٧ (ابريل ١٩٦٠) محمد السلامي

٣ ــ بعض الملاحظات حول مشكلة اللغة ــ السنة ٥ ع ٧ (ابريل ١٩٦٠)ــ صالح القرمادي

٤ - على هامش « حياة اللغة العربية » السنة ٥ ع » (ابريل سنة ١٩٦٠) ــ الجندي خليفة .

وفيه تناولت بالنقد وجهات النظر التي ادلى بها كتاب العدد الخاص المشاراليه ، كما وعدت فيه بتقديم الاقتراحات التي اراها كفيلة بحل مشكلة اللغة ، وهذا وجه اثباته هنا ضمن الروافد .

وهناك كتابات اخرى استفدت منها او ناقشتها اشرت اليها خلال البحث .

فهرست

صفحة

انا البحر ٥
تصدير ٧

(١)

لمحة وبيان ١١
لوكان داروين لغويا ١٤
لغة المستقبل ١٦
مع حكيم الصين ١٩

(٢)

البديهية الاولية لشرقنا العربي ٢١
قواعد . . خمس ٢٢
باقة من العيوب ٢٤
تحت رحمة الذباب ٢٥
الاساس الفلسفي النفسي للخط العربي ٢٩

صفحة

وصفة والفرج على الله ٣٢
السكر حلال ؟ ؟ ٣٥
الحل بسيط ٤٢
هنا المسهل يكفي ٥٣
بقيت مسألة ٥٦

(٣)

على اسس متكاملة ٦١
امير البخلاء يتبرع ٦٣
لماذا ؟ ؟ ٦٦
الاعراب ، هذا الخراب ٦٨
والصرف ٧٩
كفكفوا هذا النزيف ٨٨
كان يظن الله واحدا ١٠٩

(٤)

العربية المنشودة بين الاتهام والدفاع ١١٧

خاتمة ١٢٣

روافد الكتاب ١٢٥
الفهرس ١٣٠

طبع هذا الكتاب على مطابع
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر
بيروت – ص. ب : ١٣٩٠

هذا الكتاب

لا شكَّ بأن في طليعةِ القضايا الحضاريَّة التي تواجهُنا قضيَّة اللغة بوصفها «الأداة» الأولى التي يتمُّ بها الترابط الاجتماعي والتعبير العلمي والثقافي، فلا بدَّ للباحث أن يعنى إذن بما لهذه الصِّفة من معطيات ومتعلّقات تتمثَّل بالدرجة الأولى في مدى ما للغة المعنيَّة من طواعية في الأداء وسعة في الانتشار.

وفي هذا الكتاب محاولة للكشف عن العيوب التي تُثقلُ اللغة العربيَّة وتقفُ لها حجر عثرة دون المرونة والانتشار؛ فرسمتُ أهم الوصفات سواءً ما يرجع منها الى الخطِّ والكتابة والإملاء، أو ما يرجعُ إلى قواعد النَّحو والصَّرف والاصطلاح والاشتقاق والمفردات ...، كما حاولتُ إعطاء فكرة عن الحالة الحقيقيَّة لمدى انتشار الفُصحى وحيويَّتها.

من المقدمة

Bibliotheca Alexandrina
0498153
701
515

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

الثمن: ٢٥٠ ق. ل. او ما يعادلها